

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة -



كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم: التاريخ

رقم:

العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال عهد الدايات (1671-1830م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

تخصص تاريخ حديث و معاصر

إشراف الدكتور:

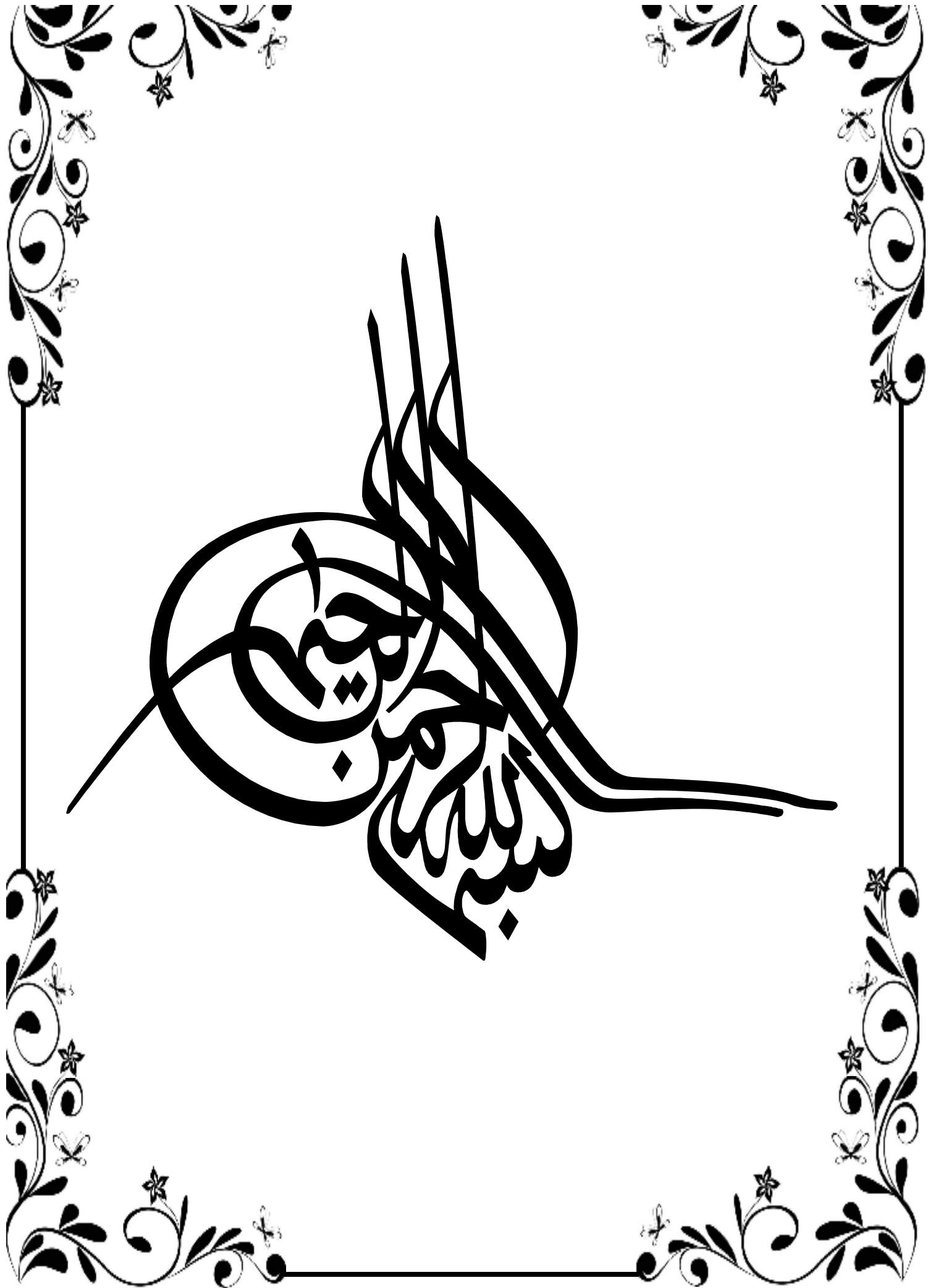
- أبو بكر الصديق حميدي

إعداد الطالبتين:

- كنزة بركات
- صمرة زروخي

| مقدمة أمام لجنة المناقشة | | |
|--------------------------|----------------------------|------------------------|
| الصفة | المؤسسة الجامعية | إسم و لقب الأستاذ(ة) |
| رئيسا | جامعة محمد بوضياف -المسيلة | د.خليفة عبد القادر |
| مشرفا و مقررا | جامعة محمد بوضياف -المسيلة | د.أبو بكر الصديق حميدي |
| مناقشا | جامعة محمد بوضياف -المسيلة | د.معوشي أمال |

السنة الجامعية: 2016-2017م



شكر و عرفان

الحمد و الشكر لله عز وجل أولا و أخيرا على ما قدر من التيسير و يسر من التقدير لإيجاز هذا العمل المتواضع ، كما لايسعنا في هذا المقام إلا أن أتوجه بالشكر و العرفان و التقدير للدكتور " حميدي أبو بكر الصديق " المشرف على هذا العمل و الذي أمدنا بتوجيهاته السديدة و رعايته الخاصة حتى إكتمل هذا البحث و بلغ تمامه .
كما لا يفوتنا أن نتقدم بأسمى آيات الشكر إلى كل عمال متحف المجاهد بمدينة المسيلة .

إهداء

إلى... سر الحب و الحنان
إلى... التي أيقظت روحي بمحاسنها ... إليك أمي
إلى ... مدرستي الأولى و مندي بعد الله في الحياة ... إليك أبي
إلى ... فوانيس البيت... إليكم أخواتي
إلى ... سوامدي في الدنيا... إليكم إخوتي
إلى الذين خلق قلبي بقلوبهم و غنقته روحي أرواحهم ...
إلى عائلة زروخي
إلى عائلة برحاته كبرها و صغبرها
أهدي لكم ثمرة جهدي
إلى كل الأمل والأفارب
إلى من شاركني درج الدراسة والبحث
إلى أرض المليون ونصف المليون شهيد ، بلدي الغالي الجزائر ، إلى موطن الأنبياء والمرسلين القدس
الشريف وشهداء الأمة الإسلامية .
إلى كل من علمني حرفا ويدعو إلى صلاح العباد والبلاد .

قائمة المختصرات :

| | |
|---------|--------------------------------|
| ج | جزء |
| د م ج | ديوان المطبوعات الجامعية |
| ش و ن ت | الشركة الوطنية للنشر و التوزيع |
| ص | صفحة |
| ص ص | صفحات متتالية |
| ط | طبعة |
| م د ت | مجلة الدراسات التاريخية |
| م و ك | المؤسسة الوطنية للكتاب |
| م | ميلادي |
| ط خ | طبعة خاصة |
| تح | تحقيق |
| تع | تعريب |

المقدمة

يعتبر موضوع العلاقات الجزائرية الفرنسية من المواضيع والقضايا ذات أهمية بالغة في ميدان العلاقات الدولية، لما كان فيها من أحداث ظلت راسخة عبر التاريخ لكلا البلدين لا سيما في الفترة الممتدة من (1671-1830م)، إذ نجد أن في هذه الفترة تجلت صفات الصداقة بشكل جلي للعيان ،ويمكننا القول أن جذورها تعود إلى السنوات الأولى للوجود العثماني بالجزائر وتطورت هذه العلاقة بحكم الموقع الإستراتيجي الذي حظيت به الجزائر حيث كانت حلقة وصل بين شمال القارة الإفريقية والقارة الأوروبية وهذا الموقع الذي حظيت به في حوض البحر الأبيض المتوسط مكنها من إقامة علاقات مع دول وممالك أوروبا ،نخص بالذكر فرنسا وهذه العلاقات في الجانب الاقتصادي دفعتها لتأسيس وبناء علاقات ذات طابع سياسي لا سيما أن القرن الثامن عشر عرفت فيه الجزائر إثبات السيادة الكاملة على كل أراضيها ونعني بذلك تحرير وهران والمرسى الكبير بشكل نهائي سنة 1792م كما عرفت إقامة علاقات وإبرام معاهدات سواء كانت سلمية أو تجارية مع بعض الدول الأوروبية خاصة التي كانت لها مصالح مشتركة معها في البحر الأبيض المتوسط كفرنسا .

أما فيما يخص حديثنا عن العلاقات الجزائرية الفرنسية فيمكن القول أنها كانت تتميز على العموم بالهدوء والاستقرار نوعا ما ،خاصة خلال فترة معاهدة السلم المؤمي بخلاف القرن الثامن عشر الذي شهد حدوث بعض المناوشات بين الطرفين وسبب هذه الخلافات يعود إلى العديد من القضايا التي عكرت صفو مسار العلاقات بين البلدين سنخوض في ذكر هذه المناوشات في إحدى عناصر البحث .

وإنطلاقا من هذا الطرح كانت من بين دواعي إختيارنا لهذا الموضوع والذي جاء تحت عنوان "العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال الفترة الممتدة 1671-1830م" لإعتبار هذه الفترة مهمة في التاريخ الجزائري الحديث، لإن الجزائر خلالها انفصلت بشكل نهائي عن الدولة العثمانية بحيث أصبحت تسالم من تشاء وتعلن الحرب على من تشاء دون العودة في ذلك إلى الباب العالي ،ونلاحظ بروز شخصيات قوية خلال هذه الفترة مثل

الحاج حسين (ميزومورتو) 1683-1688م الذي أعلن الحرب ضد فرنسا ورفض الإستسلام رغم القصف الذي تعرضت له البلاد ونذكر من البحارة الرئيس حميدو الذي ذاع صيته في حوض البحر الأبيض المتوسط ،كما شهدت هذه الفترة تراجع قوة البحرية الجزائرية وميلها إلى الضعف خاصة في بداية القرن الثامن عشر . وشهدت فرنسا خلال هذه المرحلة الثورة الفرنسية وقيام جمهوريتها .

دوافع اختيار الموضوع :

- بما أن موضوع العلاقات الجزائرية الفرنسية كان مهما في رسم معالم طبيعة هذه العلاقات مما دفع بنا إلى دراسته و كذا رغبتنا في التعمق في معرفة أحداثه وخباياه.
- رغبتنا في دراسة الموضوعات التي تخص العلاقات الدولية خاصة إذا كانت الجزائر طرفا منها.
- أن هذا الموضوع يبحث في التطورات التي شهدتها العلاقات بين البلدين في فترة (1671-1830م)، حيث تأرجحت بين الود والسلم ثم العداء والحرب في العقد الأخير.
- أن هذه الفترة شهدت إبرام العديد من المعاهدات والإتفاقيات بين الطرفين .
- ظهور بعض الشخصيات في هذه الفترة التي كان لها دورا بالغا على طبيعة العلاقات بين البلدين ونخص بالذكر "نابليون بونابرت" القنصل "دوفال" واليهوديين "بكري وبوشناق" .

الهدف من الدراسة :

إن هدفنا المرجو من هذه الدراسة هو إعطاء لمحة وجيزة عن العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال الفترة 1671 1830م وتسليط الضوء على أهم العناصر التي أثرت على سير هذه العلاقات وهل كان تأثير هذه العناصر يسير بها نحو الصداقة أم نحو التوتر والعداء ؟ .

الإطار الزمني والمكاني:

بما أن العلاقات بين البلدين كانت قائمة ولفترة طويلة لا يمكن دراستها بشكل كلي ولهذا إقتصرت دراستها من الناحية الزمنية على الفترة الممتدة ما بين 1671-1830م أما من ناحية المكان فإن موضوع الدراسة ركز على منطقة إستراتيجية مثلتها الجزائر وفرنسا فهما يعتبران من دول الحوض الغربي للمتوسط فإذا كانت الجزائر تمثل بوابة شمال إفريقيا وهي ذات بعد إسلامي وإمتداد للدولة العثمانية فإن فرنسا تمثل الضفة الشمالية وهي ذات إمتداد مسيحي كاثوليكي، لهذا فإن البحر الأبيض المتوسط أعتبر منطقة الصراع الحقيقي بين الجزائر وفرنسا .

الإشكالية:

لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة الإجابة ولو بالجزء اليسير على الإشكالية والتي صغناها على النحو التالي :

جمعت الجزائر بفرنسا علاقات من الناحية السياسية والاقتصادية على غرار الدول الأخرى فما طبيعة العلاقة التي جمعت بين البلدين بصفة عامة و خلال الفترة التي هي قيد الدراسة ؟ هل بنيت العلاقات على أساس الصداقة والتعاون ؟ أم أن هناك طرفا كان يطمح في تحقيق مصالح اقتصادية على حساب الطرف الآخر ؟ .

ومن هنا ارتأينا طرح التساؤلات التالية :

- ما طبيعة الواقع الذي عاشته كل من الجزائر وفرنسا سوءا في الجانب السياسي و الاقتصادي ؟ .

- ما هي أهم الإتفاقيات والمعاهدات التي وقعت بين البلدين ؟ وهل كان للقناصل الفرنسيين تأثيرا على سير العلاقات ؟ وهل كانت ردود فعلهم ناتجة عن شخصيتهم أم بتحريض من حكومتهم ؟ .

-كيف ساهمت المشاكل التجارية في توتر العلاقات ؟.

- ما أهم الحملات التي وجهتها فرنسا للجزائر ؟ .

الأعمال التاريخية:

الدراسة التي قدمتها عائشة غطاس والموسومة بالعلاقات الجزائرية الفرنسية خلال ق 17م والدراسة التي قدمها محمد بن سعيدان التي جاءت بعنوان علاقات الجزائر مع فرنسا 1659-1756م.

المنهج المتبع :

إعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي لتتبع الأحداث التاريخية، والمنهج الوصفي في وصف طبيعة العلاقات وتطورها ورصد المحطات الكبرى لها وسلوكات وتصرفات الساسة والدبلوماسيين.

الخطوة المتبعة :

إعتمدنا في هذه الدراسة على خطة احتوت على مقدمة وثلاث فصول وخاتمة فكانت كالتالي :

الفصل التمهيدي : جاء تحت عنوان الوضع العام في الجزائر وفرنسا 1671 1830م عرضنا فيه وبإختصار أوضاع الجزائر وفرنسا في الفترة المخصصة للبحث ،وقمنا بتقسيمه إلى مبحثين عنوانا المبحث الأول بواقع الجزائر الذي اندرج تحته مطلبين تناولنا في المطلب الأول الواقع السياسي للجزائر كاستقلالها عن الدولة العثمانية والمطلب الثاني جاء بعنوان الجانب الاقتصادي للإيالة والذي تناول قوة البحرية الجزائرية في القرن السادس عشر وأسباب تدهورها في القرن الثامن عشر ميلادي .

والمبحث الثاني : والذي عنواناه بالواقع في فرنسا والذي قسمناه إلى مطلبين تطرقنا في المطلب الأول إلى الجانب السياسي وتحدثنا عن عهد لويس الرابع عشر وأهم حروبه الخارجية ،أما المطلب الثاني درسنا فيه الوضع الاقتصادي وأسباب قيام الثورة الفرنسية .

الفصل الأول : تطور العلاقات بين البلدين أشرنا فيه إلى بداية العلاقات بين البلدين وأهم المعاهدات والقناصل .

ذكرنا في المبحث الأول بداية العلاقات وتطرقنا في المبحث الثاني إلى دور القناصل وأهم الإتفاقيات .

الفصل الثاني : درسنا فيه مظاهر التوتر وأهم الحملات ،عالجنا في المبحث الأول:المشاكل التجارية ودورها في توتر العلاقات (بكري وبوشناق) وتطرقنا في المبحث الثاني: إلى أهم الحملات الفرنسية على الجزائر ،وختمنا هذه الدراسة بخاتمة إحتوت على أهم النتائج التي توصلنا إليها وأتبعناها بمجموعة من الملاحق ثم قائمة مفصلة شملت المصادر والمراجع .

التعريف بأهم المصادر والمراجع المعتمدة :

إعتمدنا في دراستنا هذه على بيبليوغرافيا متنوعة محاولة منا الإحاطة بجوانب الموضوع ما أمكن ذلك بحيث اختلفت هذه المادة العلمية من مصادر ومراجع ومقالات وأطروحات فكانت كالتالي :

أهم المصادر باللغة العربية : نذكر منها :

- أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي :القول الوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط الذي أفادنا في ذكر تحرير منطقة وهران 1792م .
- كتاب محمد بن يوسف الزياني : دليل الحيران وأنيس السهران والذي اعتمدنا عليه في ذكر ووصف ثورة الدرقاوي سنة 1802م.
- أحمد شريف الزهار :مذكراته والتي أفادتنا في ذكر قوة البحرية الجزائرية وتزايد أعمال الجهاد البحري.
- كتاب ابن عودة المزارعي: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا أواخر القرن التاسع عشر ج2 والذي أفادنا في ذكر نزول فرنسا بمنطقة سيدي فرج

أهم المراجع العربية والمعرّبة :

العربية :

- مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية ج2 والذي استندنا إليه في ذكر جوانب من العلاقات خاصة الاقتصادية .
- جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790 1830م والذي تناول العلاقات الجزائرية الفرنسية بشكل مفضل وبأسلوب قوي .
- جمال قنان :كتابه معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619 1830م والذي أخذنا منه أهم المعاهدات والإتفاقيات المبرمة بين الجزائر وفرنسا .
- يحي بوعزيز :علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500 1830 والذي اعتمدنا عليه في وصف العلاقات بين البلدين وذكر الحملات الفرنسية على الجزائر .
- محمد زروال :العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791 1830م والذي أفادنا في ذكر العلاقات والمعاهدات أسباب التوتر بين البلدين .

المعرّبة :

- عزيز سامح ألتر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية والذي أفادنا في ذكر معلومات خاصة بسير العلاقات وركز على تصرفات الكثير من القناصل .
- جون ب وولف: الجزائر وأوربا 1500 1830 والذي استندنا عليه في ذكر الحملات الفرنسية .
- وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر والذي استخدمناه في ذكر مظاهر التعاون بين الجزائر وفرنسا .
- شارل أندري جوليان: تاريخ الجزائر المعاصر 1827 1830 والذي استعملناه في ذكر مشكل الديون الخاصة باليهوديين بكري وبوشناق .

- أوجان بلانتيت: مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا 1700 1830 ج3 والذي استخدمناه في ذكر أهم الرسائل المتبادلة بين الطرفين .

3- الدراسات السابقة:

- عائشة غطاس: العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر 1619 1694م والتي أفادتنا في ذكر الواردات والصادرات بين البلدين .
- عائشة محممة: الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين 16 17 أفادتنا في ذكر الحملات العسكرية .

الصعوبات المعترضة:

- من الطبيعي أن يواجه الباحث العديد من الصعوبات في كل مراحل إعداد بحثه ومن الصعوبات التي واجهتنا لإنجاز هذه الدراسة نذكر ما يلي:
- ü نقص الخبرة والتجربة في ميدان البحث العلمي لدينا.
 - ü أن الكتب المعربة تفتقر إلى الدقة وتميل في بعض الأحيان إلى المبالغة في ذكر بعض الأحداث.
 - ü سعة وتشعب الموضوع وعدم قدرتنا على الإلمام بكل الأحداث هذا ما جعلنا نسلط الضوء على أهم الوقائع.
- ورغم ذلك حاولنا الإحاطة بالموضوع وتطرقنا لأهم نقاطه قدر المستطاع ،مع العلم أن البحث يحتاج إلى مزيد من التحري والدقة .

الفصل التمهيدي

المبحث الأول : الواقع السياسي والإقتصادي في

الجزائر خلال عهد الدايات

المطلب الأول :سياسيا

المطلب الثاني :اقتصاديا

المبحث الثاني: الواقع السياسي والإقتصادي في فرنسا

المطلب الأول : سياسيا

المطلب الثاني : اقتصاديا

المبحث الأول :الواقع السياسي و الإقتصادي في الجزائر خلال حكم الدايات.

المطلب الأول: سياسيا

يعتبر عهد الدايات آخر مرحلة للوجود العثماني بالجزائر¹ ، كما يعد أطول أدوار العهد التركي بالجزائر²، إذ دام أزيد من قرن و نصف وهو ما يمثل نصف مدة هذا التواجد³ .

و نجد أن الجزائر في القرن "السابع عشر" قد خرجت عن سلطة الباب العالي كما أن البلاد الجزائرية من الحدود التونسية إلى نواحي تلمسان، و من ساحل بحر المتوسط إلى ما وراء الزيبان ، قد توحدت إدارتها و خضعت لسلطة العثمانيين⁴ .

"كما ظهرت قوتها العسكرية في البر و البحر ، و أصبحت دولة واسعة الإستقلال ، تستقبل الممثلين الأجانب و تعقد الصلح ، و تمضي المعاهدات⁵ ،"وقد بلغ مجموع ما أبرمته إنجلترا من إتفاقيات و معاهدات مع الجزائر 27 معاهدة منها إتفاق عام 1682م مع هولندا،و وقعت فرنسا 58 اتفاقية و معاهدة بين عام 1619 ، 1830م و تولى رعاية مصالح فرنسا خلالها بالجزائر 60 قنصل و نائب قنصل ، و تردد على الجزائر 96 محافظا و مبعوثا ، و أهم الدول احتكاكا بالجزائر بلدان شمال أوربا : (إنجلترا- فرنسا - هولندا- الولايات الايطالية -اسبانيا و البرتغال - الولايات المتحدة الأمريكية)"⁶.

ومن خلال ما سبق نلاحظ أن الجزائر في عهد الدايات قد إستقرت نسبيا من الناحية السياسية بحيث أصبح تحكم نفسها بنفسها دون الرجوع إلى الباب العالي ،و كانت من أقوى دول المغرب العربي.

¹ أحمد بحري،الجزائر في عهد الدايات ،ج،1 دور الكفاية،الجزائر،د ط، 2013،ص67 .

عبدالرحمن محمد الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،ج3، دار الأمة،الجزائر، د ط ، 2014،،ص187²

أحمد بحري،المرجع السابق،ص67³

⁴أحمد توفيق المدني،محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 -1791،عالم المعرفة الجزائر، ط خ ، 2010 ،ص

⁵ نفسه،ص40

⁶ يحيى بوعزيز،علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500 -1830،عالم المعرفة،الجزائر، ط خ ، 2009،ص25.

إذا لم يتعاقب خلالها أكثر من عشر دايات بحيث حكم ثلاثة منهم مدة خمسة و عشرين سنة لكل واحد من هؤلاء (بابا حسن - مصطفى باشا - الداوي حسين)¹، وقد استكملت الجزائر استقلالها في عام 1792م، عندما استرجعت مدينه وهران و حررتها من يد الإسبان²، في عهد الداوي محمد بن عثمان الذي إشتهر بإنجازاته الحربية³، بعد صراع دام ثلاثة قرون⁴.

إلا أن هذا الإستقرار لم يدم إذ عرفت الجزائر اضطرابات داخلية تمثلت في إعلان التمرد من طرف أتباع الطريقة الدرقاوية 1802م ، بقياده "عبد القادر بن الشريف الدرقاوي"⁵ الذي ادعى الشرف و دعوته مستجابة والنصر يتبعه حيثما توجه ،وكان من أسباب هذه الثورة فساد النظام السياسي و انغلاقه و اتخاذ السياسة الضريبية المجحفة ، وعلى الأغلب فقد كانت مدعومة من طرف جهات مغربية واتخذ معسكر مقرا له وحاول حصار مدينه وهران غير انه لم يفلح⁶.

و في هذا يصفهم "محمد بن يوسف الزياني " ثم أن الدرقاوي صار يعد جنوده كل يوم بفتح وهران ، و هو مستحوذ عليه الشيطان ، و يمنهم بالأمانى الكاذبة ، و يطمعهم بأقواله الجالية و يعدهم المواعيد العرقوبية ، و يقولهم بالأقاويل المكذوبة ... " و أنهم في يومهم يدخلون وهران و يصيرونها بالهدم و التخريب مغارات الفيران "⁷.

محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ش و ن ت ،الجزائر، ص18¹

² مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة، ش و ن ت ، الجزائر، ط2، 1981، ص188

³ أحمد عبد الرحمن الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1991.

⁴ محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص18

⁵ الدرقاوي : هو أحمد ابن الأحرش الدرقاوي فتى مغربي مالكي المذهب درقاوي الطريقة ، إدعى أنه الإمام المنتظر ، ينظر: ابن عودة المزري ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا في أوائل القرن التاسع عشر ، تح: يحيى بوعزيز ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، د ط ، 2009م.

⁶ بكار العايش، الوضعية العامة للجزائر قبل الاحتلال، مجلة حوليات مخبر التاريخ والجغرافيا، العدد 2، 2008، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، ص187.

⁷ محمد بن يوسف الزياني ، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تح: المهدي بوعبدلي ، دار المعرفة الدولية للنشر و التوزيع ، الجزائر 2013 ، ص277.

أما ثورة محمد التيجاني¹ التي كانت في 1824م ، و التي قامت لنفس أسباب الثورة الدرقاوية و كان التيجاني يشكي جور الترك و ظلمهم و قد ساندته عدة قبائل منها بني عامر و بني شقران و خرج نحو معسكر فواجهه "حسين باي" حاكم وهران و اشتد القتال بينهما فقتل التيجاني².

ونلاحظ أيضا أن تونس قد تخلت عن دفع الإتاوات إلى الجزائر منذ 1728م المتمثلة في مقدار من المال والزيت - السمن - الصابون، مما أدى إلى وقوع حرب بينهما دامت 17 يوم وذلك سنة 1807³.

عرفت الجزائر تدخلات مغربيه في جنوب بايلك الغرب تحت قياده أبناء"مولاي إسماعيل"، عمل أحد أحفاد هذا الأخير على إقامة حامييه في" بوسمعون" بين عين الصفراء والبيض، بين سنة 1710 إلى 1713م وفي سنة 1720م هاجم الملك المغربي الأراضي الجزائرية مره أخرى⁴.

ونجد أن الدولة العثمانية حاولت التدخل في شؤون الدولة الجزائرية من اجل استرجاع السلطة و نفوذها السابق أيام حكم "البابايات" و"الباشوات"⁵، كما اشرنا سابقا أن الجزائر في عهد الدايات أصبحت تابع للباب العالي بصفة شكلية لا أكثر.

إضافة إلى كثرة الغارات الأوروبية على سواحل البلاد، ورغم الانتقام من الجزائر مما أدى إلى حالة العداء التوتر في العلاقات بسبب القضايا التي ترتبت عن الغنائم و الإتاوات والأسرى.

¹ التيجاني : هو أحمد التيجاني الماضوي نسبة إلى مدينة عين ماضي بولاية الأغواط من القطر الجزائري و قد عاش ما بين 1737 حتى 1815 و مدفنه بفاس بالمغرب الأقصى ، ينظر: محمد بن بريكة البوزيدي الحسني ، موسوعة الطرق الصوفية (الطريقة التيجانية) جواهر المعاني في قبر سيدي العباس التيجاني للشيخ علي بورادة حازم الفاسي ، ج 1 ، الجزائر ، دار الحكمة ، د ط ، 2007م ، ص 08.

صالح العنتري، سنين القحط مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، ش و ن ت، الجزائر، 1974، ص 32²

ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 94³.

صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514 1830، دار هومة الجزائر، ط 2، 2007، ص 154⁴.

⁵ جمال الدين سهيل، ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن السابع عشر ميلادي ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، العدد 13 ، قسم التاريخ ، المركز الجامعي غرداية ، 2011، ص 150.

نستنتج من خلال ما تم عرضه أن الوضع السياسي حدث فيه العديد من الاضطرابات بسبب سوء الحكام، و تراجع دورهم، إضافة إلى كثرة الأطماع الخارجية لاسيما الأوروبية، في محاولتهم القضاء على الإيالة الجزائرية آنذاك.

المطلب الثاني: اقتصاديا:

كانت الجزائر قاعدة لأعمال الجهاد منذ تأسيسها¹، وقد بلغت البحرية الجزائرية أوجها في النصف الثاني من القرن السادس عشر و النصف الأول من القرن السابع عشر ميلادي، حيث امتد نفوذ الجزائر البحري، من الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط فكان الأسطول الجزائري يجوب المحيط الأطلسي وصولا إلى بريطانيا ، واسكتلندا إلى جزر الكناري، والازوريس².

ولهذا فإن الدول الأوروبية كانت مرغمة على دفع الضرائب والهدايا وقد أورد "هنري فارو" ما تدفعه دول أوروبا للجزائر من الضرائب وصنفت الدول على الشكل التالي:

الولايات المتحدة الأمريكية ، هولندا، البرتغال، السويد، النرويج و الدنمارك تدفع ضريبة كل عامين

فرنسا ، إنجلترا ، إسبانيا تدفع الهدايا دوريا للدايات وأعضاء الديوان عند إبرام المعاهدات أو تعيين القناصل³.

ويتضح لنا أن قوة البحرية الجزائرية في العهد العثماني تعود إلى عدة أسباب منها:

أولا: موقع الجزائر وطبيعة سواحلها المفتوحة على أوروبا والمتحكمة في الحوض الغربي للمتوسط على امتداد 1200 كيلومتر

أحمد شريف الزهار، مذكراته، تح: أحمد توفيق المدني، عالم المعرفة، الجزائر، ط خ ، 2010، ص 21.

² جمال الدين سهيل، المرجع السابق، ص-ص 143- 144 .

يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 53.

ثانيا: "الظروف الدولية الملائمة للتنافس بين الدول الأوروبية المنجرة على ذلك من صراع وتوترات مثل العداء بين فرونسوا الأول والإمبراطور " شارل الخامس"¹

ثالثا: تجنيد الأوروبيين في البحرية الجزائرية المعروفين " بالأعلاج"

رابعا: الإنتظام والتمويل في العمليات الحربية حيث أصبحت الطريقة الجزائرية في الجهاد البحري والتنظيم مثال يحتذى به ².

من خلال ما تم ذكره يتضح لنا أن البحرية الجزائرية كانت الرائدة في البحر الأبيض المتوسط ومهابة حتى من الدول الكبرى مثل اسبانيا ، وكانت بمثابة شوكة في حلق الدول الأوروبية لأنها أرغمتها علي دفع الضرائب.

" ويجمع المؤرخون الأوروبيون والأمريكيون على أن البحرية الجزائرية كانت منظمه أحسن تنظيم، و الجزائر كانت تستعمل نفوذها البحري بدافع الوعي بمسؤوليتها الدولية عن الأمن والسلم في البحر، الذي كان بحرها وكانت تصارع الدول الكبرى وتفرض عليها معاهدات السلم وتفرض أيضا الضرائب الباهظة ، و كانت تسمى في ذلك الوقت بالجمهورية في كثير من الإتفاقيات، هذا منذ بداية القرن الثامن عشر"³.

أما فيما يتعلق بالنشاطات الاقتصادية فنجلها كالتالي:

أولاً: الضرائب بمختلف أنواعها(الضريبة -الإتاوات - المعونة...)

ثانيا: المحاصيل والسلع

ثالثا: الأسواق والجمارك المبادلات التجارية للدولة

رابعا: شؤون الأوقاف و سبل الخيرات⁴

¹ ناصر الدين سعيدوني،ورقات جزائرية(دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)،دارالبصائر الجديدة الجزائر،ط2، 2012،ص 141.

² جمال الدين سهيل،المرجع السابق،ص144.

³ مولود قاسم نايت بلقاسم،شخصية الجزائر الدولية و هيبته العالمية قبل 1830،ج2،دار الأمة الجزائر،ط2، 2007 ،ص 69.

⁴ ناصر الدين سعيدوني ،ورقات جزائرية ، المرجع السابق ،ص358.

أما غنائم الجهاد البحري فضلت لمدة طويلة كمورد رزق ومصدر ثروة هائلة بالنسبة للجزائر، وعامل حاسما لرواج الحركة الاقتصادية لها¹، إضافة إلى ما كان يدفعه الأجانب مقابل السماح لهم بإرساء مراكبهم بمراسي القطر الجزائري، والهدايا التي يتقرب بها القناصل المقيمين بالجزائر².

ويمكننا القول أن الإنتاج الزراعي بالإيالة الجزائرية، فنجده متنوع حسب كل منطقة و حسب الظروف الطبيعية والمناخية فوجد مثلا في نواحي وهران و قسنطينة و مجانة إشتهرت بإنتاج الحبوب التي كانت تعد محصولا رئيسيا مخصصا للاستهلاك الداخلي، و التصدير الخارجي، كما تضاف بعض المزروعات النادرة مثل (القطن، التبغ) بنواحي مستغانم بالقرب من الجزائر و عنابة³.

وكانت الصناعة تتمثل في صناعة الأغذية الصوفية و الأحزمة الحمراء بتلمسان و الزرابي و البرانس و الحصر بالأطلس الصحراوي و الفخار بندرومة، و صنع السروج و معالجة الأصواف و الجلود بقسنطينة⁴، و صناعة مواد البناء من (آجر و رخام و خزف) إضافة إلى صناعة البارود و السلاح⁵.

أما عن التجارة فكانت الدول الأوروبية و بالخصوص فرنسا تستورد المواد الأولية المتوفرة بالبلاد الجزائرية مثل: الأصواف، الجلود، الشمع، الحبوب، مقابل تصدير الأشياء الكمالية مثل العطور و المصبرات⁶، إضافة إلى الغنائم التي يحصل عليها البحارة البحارة عبر المعارك التي يخوضونها، و الهدايا والحمولات إضافة إلى المساعدات

¹ أحمد سليمان النظام السياسي الجزائري في عهد العثماني، مطبعة دحلب، الجزائر، د ط، 1993، ص49.

² محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح: محمد بن عبد الكريم ش و ن ت، الجزائر، ط2، 1981 ص40.

³ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830، دار البصائر الجديدة، الجزائر، ط2، ص ص 30-31.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص33.

⁵ عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2013، ص420.

⁶ نفسه، ص38.

العثمانية¹، و الجدول التالي يمثل صادرات و واردات من و إلى الجزائر نحو أوروبا 1755².

أما صادراتها في 1822 فهي كالتالي :

| الصادرات | الواردات |
|----------------------------|--------------------------------|
| الأصواف ، ريش النعام | التوابل، دود الحرير |
| الجلود، النحاس | العطور و الأمشاط |
| الشمع ، الزرابي ، المناديل | الأرز، السكر ، الفواكه المجففة |
| المطرزة ، التمور | الورق ، الصابون، الصمغ، القطن |
| العبيد ، الحزم الحريرية | صفائح الحديد ، الفضة ، الكبريت |

1788 صدر للخارج عبر ميناء عنابة ، أرزيو ، دلس ، 150 ألف شحن 100 سفينة من ميناء وهران قدرت حمولتها 75 ألف قنطار من القمح و 6 آلاف قنطار من الشعير³.

جدول يمثل صادرات الجزائر نحو أوروبا سنة 1822م

| المادة | الكمية | السعر |
|-------------------------|--|------------------|
| الصوف | 20,000 قنطار إلى ليفورن جنوة ، مرسيليا | 8 دولار للقنطار |
| الشمع | 600 قنطار | 30 دولار للقنطار |
| ريش النعام ومنتجات أخرى | / | 1500 دولار |

4

¹ مؤيد محمود الشهداني ، أوضاع الجزائر خلال الحكم التركي 1518-1830 م د ت ، المجلد 5 ، العدد 16 ، 2013 ، ص 423.

حليمي عبد القادر علي ، مدينة الجزائر نشأتها و تطورها قبل 1830 ، دار الفكر الإسلامي ، الجزائر ، ط 1 ، 1972 ، ص 305.

³ فاطمة الزهراء سيدهم، موارد إيالة الجزائر المالية في مطلع قرن 19، دورية كان التاريخية ، العدد 13 ، 2011، ص 305.

⁴ وليام شالر ، قنصل أمريكا ي الجزائر (1814-1824) تعريب إسماعيل العربي ، ش و ن ت ، الجزائر ، د ط ، 1982 ، ص 103.

بلغ مجمل صادراتها سنة 1822 (273,00) دولار إسباني.

يتبين لنا مما سبق أن الإيالة الجزائرية كانت رائدة في تصدير الحبوب لاسيما القمح المشهور بالجودة ، إضافة إلى صناعات أخرى اشتهرت بها و نلاحظ أيضا وجود بحارة ذاع صيتهم أمثال " الرئيس حميدو - العلي علي ، الرئيس عمر و غيرهم " ، و نجد أن الجزائر اشتهرت بإمكانيات إقتصادية متنوعة ، غير أن هذا الإزدهار لم يدم طويلا لأنه عرف نوعا من الضعف و الانحلال و هذا ما سنتطرق إليه .

عرفت البحرية نوعا من الضعف و الإنكماش ، في منتصف القرن الثامن عشر ، فشحت الغنائم و قل عدد الأسرى و تناقصت الإتاوات ¹.

كما كانت السفن الجزائرية التجارية تتعرض للتفتيش من قبل الدول الأوروبية قصد إلقاء القبض على ربانها لإعتبارهم مسيحيين مرتدين لذا فضل الملاحون بالتنقل بأساطيل حربية و تركوا التجارة لبعض الأهالي الذين هم أيضا لم يسلموا من المضايقات الدول الأوروبية ²، وبالتالي لم تعد مداخيل الغارات البحرية تعني شيئا بالنسبة للإقتصاد الجزائري، و أن الغنائم بعد 1816م لم تعد تكفي حتى للقيام بالنفقات البسيطة ³ ، و كاد دور البحرية يقتصر على رد الاعتداءات و هذا بسبب التقدم الصناعي و التقني الذي مكن الدول الأوروبية من تحدي القوة الجزائرية منذ أواسط القرن الثامن عشر و لعل إستلاء الفرنسيين على 10871 غنيمة بحرية بميناء المتوسط ما بين 1793-1815م دليل على مدى التفوق الذي أحرزه الأوروبيون ⁴.

إضافة إلى التحالف الأوربي ضد القوى الإسلامية في البحر المتوسط إثر الحروب النابليونية، حيث تمكنت من فرض حصارها على الدول الإسلامية بالمتوسط خاصة بعد

¹ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص105.

² أرزقي شويتم ، نهاية الحكم العثماني في الجزائر و عوامل انهيار (1800-1830)، دار الكتاب العربي ، الجزائر، 2010، د ط ، ص74.

³ بلقاسم قرباش ، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، أطروحة نيل درجة الدكتوراه في تاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة معسكر، 2015-2016، ص102.

⁴ ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية ، المرجع السابق ، ص151.

مؤتمر فيينا 1815م و"إكس لاشبيل" 1818م لاسيما عندما قدمت حجج واهية مثل إلغاء الامتيازات وإطلاق الأسرى و الامتناع عن القرصنة¹.

ومما زاد ضعف البحرية الجزائرية تكرار هجمات الأساطيل الأوربية على المدن الساحلية ، قصد القضاء على القرصنة ، و من هنا اضطرت الجزائر إلى عقد اتفاقيات مجحفة مع بعض الدول الأوربية ، و إتزمت بحرية التبادل و ضمان سلامة السفن التجارية، كما نصت على ذلك بنود معاهدات 1666-1683م مع فرنسا ، 1682م مع إنجلترا ، 1680م مع هولندا².

ومن خلال ما تم عرضه يمكننا القول بأن الاقتصاد الجزائري كان في أوجه خلال القرن 16 و السابع عشر لا سيما في ما يتعلق بعائدات البحرية و الإنتاج الزراعي ، إلا أن هذا التفوق لم يستمر بسبب عدم القدرة على مواكبة التطورات الحاصلة خاصة من ناحية الوسائل و التقنيات المستعملة ، و مما زاد تراجع البحرية خصوصا عند الحملة الانجليزية 1816 ، و انهزام الأسطول الجزائري في معركة نافارين 1827.

المبحث الثاني: الواقع السياسي و الاقتصادي في فرنسا (1671-1830م).

المطلب الأول: سياسيا

تعد فترة القرن السابع عشر، عصر التفوق الفرنسي ، أو عصر "لويس الرابع عشر " ولكن من الضروري أن نلقي نظرة موجزة على الفترات التاريخية السابقة من تاريخ فرنسا الحديث و هي كالتالي³:

حكم هنري الرابع (1589-1610م)⁴ و انتقل من الأسرة فالو إلى أسرة "آل بوربون"، ثم إلى ابن هنري الرابع "لويس الثالث عشر" (1610-1643م)⁵ و "لويس

¹ نفسه ، ص151

² ناصر الدين سعيدوني ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، المرجع السابق ، ص157

³ ميلاد المقرحي، تاريخ أوربا الحديث(1453-1848)، دار الكتب الوطنية،ليبيا، ط1، 1996، ص183

⁴ عبد الحميد البطريق، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى القرن 18، دار الفكر أعربي ، القاهرة، د ط ، 1946، ص135.

⁵ ميلاد المقرحي، المرجع السابق، ص183.

الرابع عشر" حكم ما بين (1661-1715)، و قد أظهر منذ بدايته اتجاه نحو الإنفراد بالحكم ، و التحكم في كيفية إنفاق أموال الدولة¹، وقد عبر عن سياسته هذه تعبيراً عميقاً عند ما كان يردد و يفخر باعتزاز "الدولة أنا"، و أصبحت فرنسا في عهده من أقوى و أعظم الدول الأوروبية².

بحيث أعطى حياة جديدة للبلاط الملكي في قصر فرساي ،و كانت الحكومة في عهده حكومة مركزية تماماً ، و يوجد بها مستشار و وزراء للشؤون الخارجية و للحربية و البحرية ،و شؤون القصر³، و تميزت الدبلوماسية الفرنسية بمرونة و قدرة فائقة على التحرك وهدفت سياستها الخارجية إلى المجد و العظمة الفرنسية⁴،

كما كان يرغب في الوصول إلى ما يسمى بحدود فرنسا الطبيعية من جبال البيريني في الجنوب و المحيط الأطلسي غرباً، و نهر الراين شمالاً و جبال الألب شرقاً. و أدت هذه السياسة التوسعية إلى سلسلة من الحروب ، عرفت بحروب لويس الرابع عشر نذكر منها :

حربه مع الجمهورية الهولندية (1672-1689م).

شرع "لويس الرابع عشر" في 1672م ، بعد أن نجح في عقد معاهدة "دوفر" السرية مع إنجلترا 1670 ، و وفق في كسب السويد إلى جانبه في حربه ضد هولندا⁵ نظير دفعه لكل منها مبلغاً يزيد عن 200,000 جنيه على ما كانت تدفع هولندا إليهما⁶. نجحت القوات الفرنسية في الإستيلاء على بعض المدن و الولايات الهولندية في هذا الوقت شعرت أوروبا بالخطر الكامن من أطماع الفرنسية التوسعية و سارت أوروبا على

¹ زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث من القرن 16 إلى 18، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، د ط ، ص173.

² عبد الحميد البطريق، المرجع السابق، ص163

³ جلال يحيى، التاريخ الأوربي الحديث و المعاصر، حتى الحرب العالمية 2 ج2، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، د ط ، 1981، ص57

⁴ نفسه، 203.

⁵ جلال يحيى ، المرجع السابق، ص205.

⁶ نفسه، ص68

هذا الوضع الجديد¹، و هكذا تخلت إنجلترا عن فرنسا فاضطرت هذه الأخيرة لتوقيع معاهدة نيم فيجن 1678² الذي كان عبارة عن معاهدات بين كلا من فرنسا و هولندا، و اسبانيا، الدانمارك³، و احتفظت بمقتضاها الجمهورية الهولندية بكل أراضيها، و تنازلت اسبانيا لفرنسا عن (فرانس كستيه)، و بقيت أراضي الألزاس و لورين تحت الحكم الفرنسي⁴، و استطاع لويس الرابع عشر تأمين حدود البلاد الشرقية و الشمالية من الأراضي المخفضة⁵.

حرب البلاتين (1688م-1679م)⁶

و تعرف بحروب عصابة أوغسبورخ، و أعلنت هذه الحرب في سبتمبر 1688م⁷، و انتهز لويس فرصة موت "شارل" أمير البلاتين، و أعلن إدعائه العرش على هذه الولاية، و عندئذ هب أعضاء الحلف لمناصرة ضد عدوهم "لويس الرابع عشر" وهم (اسبانيا، السويد، سافوري و عدد من الولايات الألمانية)⁸

و ما لبثت إنجلترا أن انضمت إلى الحلف، إذ لم يعد للويس أي حليف من ملوك أوروبا و مع ذلك كان و لا يزال في عنفوانه الحربي، و سارع إلى الإغارة على البلاتين، فخرّب قراها و دمر مزارعها⁹

و قد بدأ الحرب بانتصارات عديدة حققها الفرنسيين، الذين عبروا بسهولة نهر الراين و كانت الحرب لصالحهم في البر و البحر، ثم انقلب الحظ في عام 1692 و خصوصا من جهة البحر حيث كان التفوق للإنجليز¹⁰.

¹ نفسه، ص 205.

² عبد الحميد البطريق، الرجوع السابق، ص 168.

³ محمد بن سعيدان، علاقات الجزائر مع فرنسا (1659-1756)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2011-2012، ص 39.

⁴ عبد الحميد البطريق، الرجوع السابق، ص 168.

⁵ محمد بن سعيدان، الرجوع السابق، ص 39.

⁶ عبد الحميد البطريق، المرجع السابق، ص 171.

⁷ ميلاد المقرحي، المرجع السابق، ص 207.

⁸ نفسه، ص 207.

⁹ عبد الحميد البطريق، المرجع السابق، ص-ص 171-172.

¹⁰ عبد الحميد البطريق، المرجع السابق، ص 172.

حرب الوراثة الإسبانية (1702-1713م)¹

أصبح عرش إسبانيا مشكلة دولية ، خاصة عندما بات متوقع موت "شارل الثاني" ملك اسبانيا، كان هناك ثلاثة مطالبين بالعرش و هم²، "لويس الرابع عشر" الذي ادعى حق الوراثة هذا العرش لأنه الأكبر من زوجته ماريا تيريزا و ادعاها "ليو بولد الأول" لأنه حفيد "فليب الثالث" بالإضافة إلى أنه تزوج ابنة "فليب الرابع" و تنازلت له "ماريا أنطونيا" عن كل حقوقها قبل أن تتزوج أمير بافاريا³ ، و ادعى الوراثة أيضا أمير بافاريا بفاريا لأنه ابن أخ ملك اسبانيا ، و كان أقل المطالبين بالوراثة نفوذا⁴.

واستغل "لويس الرابع عشر" وصية "شارل الثاني" التي تبقى حكم اسبانيا إلى حفيده "فليب الخامس" لأنه سيحافظ على سلامة الإمبراطورية الإسبانية⁵، و انتهت هذه الحرب بتوقيع معاهدة أوترخت 1713Utrecht م و كان من أهم شروطها :

ü الاعتراف "بفيليب" حفيد "لويس الرابع عشر" ملكا على اسبانيا

ü أن تأخذ إنجلترا من إسبانيا جبل طارق و جزيرة متورقة⁶.

ü وتستولي من فرنسا على نيو فوندلاند، و خليج هدسن.

ü أن تستولي الإمبراطورية على نابلي و الأراضي المنخفضة الإسبانية (بلجيكا)

التي أصبحت تعرف بإسم الأراضي المنخفضة المستوية⁷.

تم تولي لويس السادس عشر الحكم بفرنسا (1774-1793م) و البلاد تن من وطأة الظروف السياسية السيئة ، فقد خاضت فرنسا عدة حروب ضد بروسيا و غيرها من الدول الأوروبية ، و منيت الجيوش الفرنسية بهزائم عنيفة⁸ ، بينما نجد فترة رئاسة

¹ خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، مطبعة الدولة بحضارة تونس المحمية، ط1، 1986، ص121.

² محمد بن اسعديان، المرجع السابق، ص39.

³ عبد الفتاح أبو عليا، تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر، دار المريخ، الرياض، ط3، 1993، ص187.

⁴ جلال يحيى، المرجع السابق، ص73.

⁵ جيفري براون، تاريخ أوروبا الحديث، تر: علي مرزوقي ، دار الأهلية ، بيروت ، ط1، 2006، ص301.

⁶ ميلاد مقرحي، المرجع السابق ، ص210.

⁷ عبد الحميد البطريق، المرجع السابق، ص175-176.

⁸ محمد بن سعيديان، المرجع السابق، ص41.

"روبسير" للجنة الأمن العام (1793-1794م)، أحرزت فرنسا عدة انتصارات و عملت على إخماد الثورات في الداخل مثل: ثورة إقليم لافانديا " la Vendée " ، و قتل الإرهاب في باريس بغير محاكمة¹ ، و بسبب هذه الأوضاع ثار الشعب الفرنسي 1789م نظرا لهذه الظروف المتوترة في الجانب السياسي، و الاقتصادي، و الرغبة بضرورة إصلاح الحالة الاقتصادية و إلغاء الضرائب المحلية و غيرها² .

ثم حكم نابليون بونابرت 1799م³، الذي أمسك بالسلطة بيده و تمكن من مواجهة مشاكل فرنسا الداخلية و الخارجية، فهو أنقذها بحروبه التي خاضها 1800م، و هذه الحرب كانت مع روسيا، النمسا، إنجلترا، تركيا⁴، و عندما فقدت فرنسا إمبراطوريتها الإستعمارية عقب هزيمة نابليون 1815م، فإنها تنازلت لإنجلترا عن بعض مستعمراتها القديمة و لذلك يجمع معظم المؤرخين أن إحتلال فرنسا للجزائر كان يشكل بداية لظهور إمبراطورية توسعية جديدة، كما يعد إحياء للسياسة الفرنسية الإستعمارية⁵، و طد أركان دولته باستمالة قلوب الأمة، حيث وصلت فرنسا في أيامه إلى أعلى درجات المجد و الشرف و أصبحت ميزان للعالم السياسي⁶ .

المطلب الثاني: إقتصادي

كان إقتصاد فرنسا متدهورا للغاية ، فبلغت ديون فرنسا سنة 1715م ما يزيد عن أحد عشر مليون من الجنيهات ، و لم تتخذ أية إجراءات لتسديد هذه الديون على أقساط، و زاد الوضع المالي سوءا لأنها لم تحصل على ضريبة العقار⁷، و كانت الضرائب

¹ شوقي عطا الله الجمل، تاريخ أوربا من النهضة إلى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، د ط 2000، ص121.

نفسه، ص- ص 89-90².

³ نابليون بونابرت(1792-1821) قائد عسكري و إمبراطور فرنسي ، ولد بجزيرة كورسيكا ، وأعلن نفسه مستشارا لمدة عشر سنوات و كسب احترام الجميع. ينظر: مسعودي أحمد ، الحملة الفرنسية على الجزائر و المواقف الدولية (1792 – 1830) ، دار الخيل العلمية ، الجزائر ، ط خ ، 2013، ص18.

⁴ شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق ، ص- ص 135-136.

⁵ صالح العقاد، المغرب العربي الكبير، مكتبة إنجلو المصرية ، القاهرة، د ط ، 1969 ، ص85.

⁶ يوحنا أفندي أبكاربوس، قطف الزهور في تاريخ الدهور ، بيروت ، ط2، 1889، ص458

⁷ زينب عصمت راشد، المرجع السابق، ص173.

متنوعة و متعددة و وقع العبء الأكبر منها على كاهل الطبقة الفقيرة، إضافة إلى ضريبة الرأس التي فرضها "لويس الرابع عشر"¹.

نجد أن "كولبير" إهتم بالجانب الزراعي و شجع تربية المواشي و الخيول و زراعة الكروم و أشجار التوت اللازمة لدودة الحرير، وقد نجح "كولبير" في كل ذلك رغم العقبات التي كانت تواجهه و التي تمثلت في سياسة "لويس الرابع عشر" العسكرية².

و ظلت التقنية المستخدمة في الإنتاج بفرنسا لا تضمن إنتاجا سريعا أو كبير ، بحيث كانت تعتمد على الحظ في الزراعة أما فيما يتعلق بالصناعة فكانت صناعات فرنسا مثل المرايا و المنتجات الرقيقة الرائعة ، كما أنشأت عدد كبيرا من الشركات التجارية في حوض بحر البلطيق و في المتوسط ، و في منطقة الهند الشرقية³ ، و عملت على حماية المنتجات الفرنسية بفرض الضرائب على السلع الأجنبية، و في نفس الوقت تقليل من الضرائب على المنتجات الفرنسية تشجيعا للتجارة مع الخارج⁴.

و كانت صادرات فرنسا 1715م متمثلة في الساعات و المنتجات الرقيقة و القطع الفنية الرائعة⁵، المواد الكمالية الترفيهية كالعطور و المصبرات⁶ ، و في 1822م كانت تصدر تصدر "القهوة - السكر - الفلفل"⁷، و تجارة الأحجار الكريمة الألواح الفضية ، الخشب ، و وارداتها تمثلت في "المرجان - الجلود و الحبوب من القمح و الشعير و الشموع - الصوف - الخيول - الفول" من الجزائر خاصة⁸.

وكانت فرنسا في أوائل القرن 18 م تعد من الدول الرئيسية الكبرى في أوروبا النمسا - بريطانيا - بروسيا إذ أنها كانت تنتج موارد زراعية ضخمة فضلا عن صناعة

¹ عطا الله شوقي الجمل، المرجع السابق، ص89.

² جلال يحيى، المرجع السابق، ص59.

³ جلال يحيى ، المرجع السابق، ص241.

⁴ زينب عصمت راشد، المرجع السابق، ص-ص174-175.

⁵ نفسه ، ص175.

⁶ حنفي هلايلي ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر ، ط1 ، 2008، ص160.

⁷ وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب عبد القادر زيادية، دار القصة ، الجزائر، د ط ، 2006 ، ص160.

⁸ عائشة غطاس، العلاقات الجزائر الفرنسية خلال القرن 17 (1619-1694) ، رسالة نيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث، جامعة الجزائر، 1984-1985، ص105.

النسيج الدائمة و تجارتها الخارجية النشطة و تضاعف الإنتاج الصناعي و مردوده الداخلي و الخارجي¹، إلا أن الوضع ساء بسبب تمويل البلاد لحرب الإستقلال الأمريكية 1776-1783م و الثورة الفرنسية 1789 م ، فقد إستمر إنعدام التوازن في البلاد بين المصروفات و الإيرادات مع تواصل بذخ البلاط، فقد كان مجموع مصاريف البلاد 689 مليون فرنك فرنسي².

إلا أنهم قاموا بالعديد من الإصلاحات تمثلت في إلغاء كل ما يقيد التجارة ، و إلغاء الامتيازات التي كان يتمتع بها الأشراف و رجال الدين³ .
توصلنا من خلال ما سبق أن فرنسا وعلى الرغم ما شهدته من توتر في الجانب السياسي والضعف الإقتصادي ، إلا أنها استطاعت النهوض و شكلت إمبراطورية عظيمة في أوربا لا سيما في القرن الثامن عشر و التاسع عشر ، تضاهي بها دول العالم.

¹ صالح حسين عكيلي، فرنسا بين الثورتين 1789-1830، مؤسسة الوراق ، عمان ، ط1، 2005، ص30.

² نفسه، ص30.

³ عطا الله شوقي الجمل، المرجع السابق ، ص91.

الفصل الأول

المبحث الأول : بداية العلاقات بين الجزائر وفرنسا
1671-1830م

المبحث الثاني : دور القناصل وأهم المعاهدات
والإتفاقيات

أولا : دور القناصل

ثانيا : أهم الإتفاقيات والمعاهدات المبرمة بين الجزائر
وفرنسا

المبحث الأول : بداية العلاقات بين الجزائر و فرنسا (1671-1830م)

كانت بداية العلاقات الجزائرية الفرنسية منذ السنوات الأولى لخلافة "سليمان القانوني" لا سيما أنه كان لهم عدو مشترك وهو "شارلوكان" ، ويتجلى ذلك لما استتجد ملك فرنسا فرنسوا الأول بخير الدين حين أغارت عليه جيوش إسبانيا بقيادة "شارلوكان" سنة 1526م.¹

كما برزت مظاهر التعاون بين البلدين ، عندما قدمت الجزائر لفرنسا المساعدة في حربها ضد جنوة سنة 1535م ، وقد أكد الشق الدبلوماسي فيما بعد هذا الوفاق حيث نجد أن أول ممثل أوروبي بالجزائر².

أسهمت علاقة الخلافة العثمانية بفرنسا أن مهدت لها الطريق للحصول على بعض الإمتيازات التجارية ، خاصة صيد المرجان من الساحل الجزائري ويدخل هذا الأمر تحت مسمى العلاقات التجارية لما تلك الأصداف من أهمية في ذلك العصر³. ومما يدل على البعد التاريخي للعلاقات التجارية بين فرنسا والجزائر ، ما أشار إليه المؤرخ الفرنسي "دوفول" devoule بقوله : " لقد كانت لمرسيليا منذ القرن الثالث عشر ميلادي علاقات تجارية بالسواحل المغربية"⁴.

كل هذه الإشارات تبين لنا أن الجزائر لطالما كانت تربطها علاقات مختلفة سياسية منها وإقتصادية ، حسدتها تلك الإمتيازات التي حصلت عليها فرنسا من صيد المرجان وغيرها .

وبفضل هذا التحسن في ازدهار العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا و قد ساعد ذلك على صفاء جو العلاقات السياسية ، التي وصفت بأنها كانت طيبة على العموم إذا ما

¹ عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق، ص 342.

² وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 166.

³ صلاح العقاد ، المرجع السابق، ص 40.

⁴ مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق، ص 8.

قورنت مع بقية الدول الأوروبية الأخرى¹ ، وسياسية الجزائر كانت قائمة على فصل العلاقات الاقتصادية عن العلاقات السياسية² ونجد أن للجزائر مبادئ إنتهجتها في علاقاتها مع الدول وهي كالتالي :

أولا : عدم التنازل عن حقوق السيادة واحترام شخصية الدولة في كل الظروف

ثانيا : نبذ إستعمال القوة في العلاقات الدولية

ثالثا : مراعاة أسس الصداقة في التعامل مع السفراء

رابعا : تبني الحياد في الصراعات الدولية .

خامسا : الإلتزام بنص الإتفاقية مهما كانت الظروف³ .

وانطلاقا من هذه المبادئ بينت العلاقات بين البلدين بشكل طيب على العموم ، و منحت لفرنسا مؤسسات تجارية في عنابة والقل تسمح لها بصيد المرجان بسواحلها وتصدير الحبوب إلى أوربا⁴ وفي مقابل هذا النشاط الهام لم تكن الحكومة الجزائرية تتلقى سوى عوائد زهيدة على هذا العمل⁵ ، إلا أننا نجد أن هذه العلاقات قد تخللتها بعض المناوشات من حين إلى آخر غير أنها لم تؤثر على استمرارها⁶، فمثلا نجد أنه سنة 1619م ، إثر حادثة المدفعين اللذين سرقهما " سيمون دانسا " "SIMEN DANSA" البحار الدنماركي ذو الجنسية الفرنسية الذي دخل الجزائر في حوالي سنة 1606م وبدأ

¹ محمد زروال ، العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791 - 1830، مطبعة دحلب، الجزائر، د ط ، 1993 ، ص 12.

² أحمد سليمان ،المرجع السابق، ص 77.

³ محمد أمين عطلي ، نشاط البحرية في القرن السابع عشر وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، المركز الجامعي غرداية ، 2011 2012، ص 127.

⁴ أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ، ش و ن ت ، الجزائر، ط3، 1982 ،ص 13.

⁵ صلاح العقاد ،المرجع السابق، ص 42.

⁶ نفسه ، ص 43.

ممارسته نشاط القرصنة ، وقد حقق من خلال ذلك نجاحات باهرة مما أكسبه شهرة كبيرة بين الأهالي زادت بعد أن أدخل تقنية جديدة وهي كيفية إستعمال السفن الدائرية¹.

ولمكافئته على جهوده أعاره الداوي مدفعتين برونزيتين سلح بهما سفينته ، التي أصبح يجوب بها البحار ولكنه سرقهما وتوجه نحو مرسيليا².

وهذا ما أثار غضب الداوي فتقدم بإحتجاجات عديدة لدى ملك فرنسا لكن هذا الأخير تجاهل الأمر مما أدى إلى تصدع العلاقات ، وصارت الحرب سجالا بينهما³. وهنا سعت فرنسا لإعادة العلاقات وإحلال السلم مع الجزائر فأرسلت بعثة مرسيلية للتفاوض سنة 1616م وقامت بتحرير الأسرى الجزائريين لتسهيل التفاوض ولكن هذه المفاوضات فشلت لأن الجزائر إشتطت إرجاع المدفعتين⁴.

إلا أنه بعد تدخل الباب العالي ، لتحسين العلاقات بين الطرفين بعد إلاح فرنسا على ذلك ، فوافقت الجزائر على المفاوضات بعد أن هددتها فرنسا بشن حملة عليها فأرسلت مبعوثين إلى فرنسا هما "كنان أغا" ، و"رزان باي" وبعد محادثة ثنائية بين الطرفين ثم عقد معاهدة بتاريخ 21 مارس 1619م⁵ وتتص هذه المعاهدة على إحترام المعاهدات التي أبرمتها الدولة العثمانية وفرنسا ، وعدم المساس بها بشكل مباشر أو غير مباشر ، ولكن أهم ما جاء فيها إلزام كلا الطرفين بإيقاف الأعمال العدائية ضد الطرف الآخر ، وعدم تفتيش السفن الفرنسية من طرف البحارة الجزائريين حتى وأن كان على متنها رعايا أو سلع لدول معادية للجزائر⁶، وفي سنة 1620م عمدت السلطات الفرنسية

¹ عائشة محمة ، الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورها في العلاقات بين الجزائر دول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين 16 17، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تاريخ حديث ، 2011 2012، المركز الجامعي غرداية ، ص 75.

² عائشة محمة ، المرجع السابق ، ص 75.

³ عائشة غطاس ، المرجع السابق ، ص 41.

⁴ نفسه ، ص 42.

⁵ عائشة محمة ، المرجع السابق ، ص 76.

⁶ جمال قنان ، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619 1830، دار هومة الجزائر، د ط ، 2010، ص 56.

على قتل أعضاء الوفد الخارجي في مرسيليا سبب إنتشار خبر أن سفينة فرنسية ، قد تعرضت لهجوم من طرف الجزائريين وفي هذه الأثناء إقترح "سانسون دي نابليون" على الحكومة الفرنسية إتباع وسائل التهذئة وذلك برد أسرى المسلمين ، وتقديم الهدايا اللازمة إلى حكومة الداى وقدرت ب 30 ألف جنيه ¹.

ولهذا تمكنت من عقد معاهدة جديدة التي سميت ب : "سانسون دي نابليون" 17 سبتمبر 1628 م والتي تنص على مايلي :

أولا : إعادة فتح البايستون الفرنسي .

ثانيا : إنشاء مركز تجاري دائم في عنابة .

ثالثا : إنشاء قلعة صغيرة في كل من رأس أرزيو ، والقالة .

رابعا : حرية التجارة وضمانها بالنسبة للفرنسيين .

خامسا : حق البواخر الفرنسية في الرسو في أي ميناء جزائري متى داهمتها الأخطار ².

ويمكن القول أن الجزائر منحت لفرنسا حق استغلال البايستون 1640م من أجل حماية وتأمين التجارة الفرنسية في "حصن البايستون" ³ وملحقاته في شرق البلاد ⁴ ، ومن هنا بادرت فرنسا إلى تقديم الهدايا التي كانت تفوق قيمة الضريبة السنوية ، بحيث كانت فاخرة وفرنسا كانت على إستعداد لتقديم أي خدمة تدل على الخضوع ولو كلفها ذلك خرق القانون الدولي ⁵.

إن البعد التاريخي للعلاقات الجزائرية الفرنسية كان له الأثر البارز بإقامة صداقة قوية وتعاون دائم ، وقد ظهر هذا التعاون والصداقة في شكل قروض وإمميزات ،

¹ محمد صالح بن العنتري ، فريدة منسية في حالة دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها تح: يحي بوعزيز، عالم المعرفة الجزائر، د ط ، 2009 ص 35.

² نفسه، ص 35.

³ حصن البايتون : هو عبارة عن حصن ضخم مربع الشكل على ساحل البحر ، يتكون من ساحة و حديقة و كنيسة و مقبرة و منازل للظباط و مخازن للبضائع . ينظر: يحيى بوعزيز، المرجع السابق ، ص 83.

⁴ جمال قنان، المرجع السابق، ص 80.

⁵ وليام شالر، المرجع السابق، ص 57.

ومعاهدات سلام بين البلدين منذ بداية القرن السادس عشر ، أعطيت لفرنسا إمتيازات في الجزائر بممارسة التجارة ¹ ، بحيث تولت الشركة الإفريقية إدارة شؤون الإمتيازات الفرنسية بالجزائر خاصة فيما يتعلق بصيد المرجان وذلك منذ 1740م إلى غاية 1794م ².

ففي 7 فيفري من 1794م تم إلغاء "الشركة الملكية الإفريقية" ³ بقرار أصدرته لجنة السلامة العامة أو مجلس الأمن ، وعوضت بالوكالة الإفريقية ⁴ وكان مسموح لها بإصدار رخص لإقامة المواطنين الفرنسيين بالجزائر ⁵ ، والملاحظ أن علاقة الجزائر مع فرنسا هي التي منحت للشركة كل هذه الإمتيازات خاصة وأن الصداقة بين البلدين كانت مميزة للغاية .

و حرص "لويس السادس عشر" ⁶ على أن تغلب على العلاقات الجزائرية الفرنسية طابع الصديق والسلم في المعاملة، وهذا ما جاء من خلال تصرفه عندما دخل الروس المياه الدافئة سنة 1774م بموجب المعاهدة الموقعة مع الدول العثمانية " معاهدة "كوجوك كينارجي " ، بحيث ألقوا القبض على تجار جزائريين قادمين من الإسكندرية على متن

¹ أبو القاسم سعد الله ، أبحاث واءاء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، د ط ، 2007، ص 254

² محمد خير فارس ، تاريخ الجزائر الحديث ، مكتبة دار الشرق، ط2، 1979م، ص 134.

³ الشركة الإفريقية: تعتبر من الشركات الكبرى التي حققت أرباحا طائلة خلال عملها الطويل بالجزائر والشمال الإفريقي وكانت تملك في البداية 1200000 جنسية ثم ارتفع إلى 4520000 جنسية ومجموع مراكبها البحرية 120 ومصاريفها السنوية 300 ألف جنسية وكانت تتاجر بالمواد الغذائية والبضائع المتنوعة. ينظر: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 107.

⁴ محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق، ص 213.

⁵ وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 176.

⁶ لويس السادس عشر : تولى الحكم في 1774م ، كان عمره عشرون سنة ، لم يؤتى من الصفات ما يؤهله في تحقيق رغبته الصادقة للإصلاح ، فكان ضعيف الإرادة و كثير التردد ، في عهده وقعت الثورة الفرنسية . ينظر : زين العابدين شمس الدين نجم ، تاريخ أوربا الحديث و المعاصر ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، عمان ، ط1 ، 2012م ، ص 273.

سفينة فرنسية وسلموهم إلى سلطان مالطا فتدخل الفرنسيون بطلب من الداوي من أجل إطلاق سراحهم ورد سلعمهم إليهم¹.

استمرت العلاقات عادية وودية بين الطرفين فقد كان هناك تبادل الرسائل بين حكام الجزائر وحكام فرنسا في مختلف المناسبات²، فالمنتبع لتلك المراسلات يدرك مدى التوافق الذي كان يميز تلك العلاقات، حيث نجد المراسلات لا تتفك وتتواصل فمنها ما هو للتعزية وأخرى للتهنئة³، ولم تتوقف العلاقات عند حدودها المعروفة، السياسية والتجارية بل تعدها إلى الأحوال الشخصية والعائلية، فعند ميلاد واحد من أمراء الأسرة الحاكمة بفرنسا أرسل "لويس السادس عشر" إلى الداوي يخبره ليشاركه فرحته⁴، وإن دل على شيء إنما يدل على الوفاق الشديد الذي كان بين الداوي ونظيره الفرنسي، كما تتجلى العلاقة بين البلدين في أحلك الظروف.

ومما يؤكد العلاقات الحسنة بين البلدين أنه أثناء الظروف الصعبة التي كانت تمر بها فرنسا تحت حكم "اليقافة" وجزء من عهد المديرية التنفيذية عندما كانت تصارع أعدائها على الجهات الأربعة، وتعاني حصارا خانقا في المتوسط والأطلسي إلى جانب حرب أهلية منتشرة في العديد من جهات البلد⁵، ونجد أنه خلال سنة 1792م إلى سنة 1798م حرصت فرنسا على توطيد أواصر الصداقة مع الجزائر لأنها كانت تمر بظروف سياسية وإقتصادية صعبة، كما نلاحظ أن الجزائر لم تظهر أي نزعة إنتهازية لإستغلال تلك الظروف لخدمة مصالحها، حيث اتخذت موقفا محايدا من الصراع القائم

¹ كمال بن صحرابي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، 2007-2008 م، ص 106.

² أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 265.

³ ينظر: الرسالة في قائمة الملاحق.

⁴ كمال بن صحرابي، المرجع السابق، ص 106.

⁵ جمال قنان، المرجع السابق، ص 104.

بين فرنسا والدول المتحالفة ضدها كما زودتها بالمساعدات الغذائية والمالية التي كانت في أمس الحاجة لها¹.

وكانت فرنسا تتعامل مع الجزائر كدولة ذات سيادة وأمه كاملة الاستقلال بدليل أنها سنة 1793م وفي خضم حروبها مع أوروبا وفي سنوات الثورة الفرنسية كانت ترى أن الجزائر هي البلد الوحيد القادر على مساعدتها وتزويدها بما تحتاج إليه من مواد غذائية وصناعية مثل : القمح ، الحبال ، الخيول العربية والبربرية المتميزة ، بل تعدى الأمر إلى المساعدات المالية معفاة من الفوائد سنة 1797م²، وقد قرر المجلس الفرنسي تخصيص عشرة ملايين فرنك لشراء القمح من الخارج ، وأمرت قنصلها "فالير" بشراء أكبر كمية من القمح ، فعرض القنصل الأمر على "الداي حسين" فاستجاب هذا الأخير لمديد المساعدة فدهش الرأي العام الفرنسي³ بحيث قدم له من خزينة الجزائر 250000 فرنك بدون فائض من أجل شراء القمح من جهة قسنطينة وعنابة وقد شكلت الحكومة الفرنسية خطأ بحريا خاصا 28 أوت 1794 م من أجل نقل المواد الغذائية والحبوب والخبيل⁴.

كما كتب "الداي حسين"⁵، إلى حكومة المديرين رسالة يقول فيها : "نشعر بأنه لا يمكن في هذه الحرب الشاملة التي تخوضونها ، ضد القوى الأوروبية الكبرى أن لا تعانوا وأنتم تواجهون صعوبات في حصولكم على المؤنة ، وكل الأشياء الضرورية ففي هذه الحالة يتوجب علينا عن سمو النفس ونبل مشاعرنا⁶" ويتفق جل المؤرخين على أن الجزائر كانت أول دولة تعترف بنظام فرنسا الجديد حين تخلت عنها الدول الأوروبية.

¹ أحمد مسعودي ، المرجع السابق، ص 67.

² عبد العزيز قيلالي ، جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة (1830-1850) ، دار الهدى ، الجزائر ، د ط ، 2012 ، ص 18.

³ أحمد توفيق المدني ، الجزائر ، عالم المعرفة الجزائر ، ط خ ، 2010 ، ص 64

⁴ يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج 2 ، د م ، ج ، الجزائر ، ط 2 ، 2009 ، ص 120.

⁵ الداوي حسين : هو آخر دايات الجزائر تولى الحكم في 1818-1830 م ، كان رجا عالم و شجاع في عهده وقعت حادثة المروحة و الحصار 1827م و الإحتلال 1830م . ينظر : حمدان بن عثمان خوجة ، المرأة ، تح:محمد العربي الزبيري ، ش و ن ت ، ط 2 ، 1982م ، ص 146.

⁶ عمار حمداني ، حقيقة غزو الجزائر ، تر: لحسن زغدار ، منشورات ثالة الأبيار،الجزائر،د ط ، 2007 ، ص 33.

وقد كتبت جريدة "لومونيتور" بهذا الصدد "بينما تتحالف أوروبا ضد فرنسا الحرة ، هناك قوة إفريقية (الجزائر) أمينة وصداقة تعترف بالجمهورية وتعبر لها عن صداقتها"¹ ، وهذا أيضا ما نجده قد عبر عنه أحمد توفيق المدني في كتابه هذه الجزائر ، وكانت فرنسا تبذل جميع المساعي للحفاظ على صداقتها مع الجزائر تلك الصداقة التي تدعمت في عهد "ابا حسن" حيث مكنت سلطات الثورة من الحصول على حمولات من القمح والشعير التي أنقذت مناطق الوسط من المجاعة كما قدم الداوي قرض بمقدار خمسة ملايين من الفرنكات بدون فائدة ، كما أن فرنسا أعفتها الإيالة من دفع الضريبة السنوية²

وفي سنة 1796م قدمت الجزائر لفرنسا مليون فرنك آخر ، رغم توسط انجلترا لمنع الجزائر فخيّب الداوي سعيها³ ، كما أن الداوي أعفى فرنسا من تقديم البارجة الحربية السنوية للجزائر ، وذلك لحاجتها هي لسفنها ومؤننتها⁴ ، كما تم السماح لفرنسا بإخراج البضائع الممنوعة وعقدت صلحا ، مع جنوة عدوه الجزائريين لأنها كانت تتقل البضائع لفرنسا وجميع ما كانت تحصل عليه فرنسا ، وبلغت ديونها خمسة ملايين فرنك فرنسي ، كما دفعت الجزائر عن فرنسا رسوم المواد التي تأخذها⁵ ، إضافة إلى ما قدمه اليهوديان ، لتموين الجيش الفرنسي ، حيث بلغت الديون على فرنسا أربعة ملايين فرنك فرنسي⁶ .

وقد تعززت الصداقة أكثر بين البلدين عندما استولى نابليون على مالطا 1798م وطرد منها فرسان القديس يوحنا أعداء الجزائريين ، وبهذا استطاع تحرير الأسرى المسلمين الموجودين فيها⁷ ، نلاحظ أن العلاقات الجزائرية الفرنسية كانت مميزة في

¹ نفسه ، ص 32.

² محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق، ص 37.

³ عبد الرحمان حيلالي، المرجع السابق، ص 279

⁴ سيمون بفايفر ، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال ، تر: أبو العيد دودو، دار الأمة ، الجزائر ، د ط ، 2009م ، ص

34.

⁵ نفسه ، ص 34.

⁶ محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق، ص 37.

⁷ محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 136.

بدايتها إذا ما قورنت مع بقية الدول الأخرى، وهذا التميز راجع إلى ما يتمتع به دبلوماسيوها وتجارها وقناصلها من مكانة¹، بحيث أصبحت الجزائر السند الذي مكن فرنسا من تجميع قواها من جديد وبقيت هذه الصداقة راسخة وقائمة حتى فترة الحملة الفرنسية على مصر 1798 وإن إنقطعت بصورة شكلية فقط .

وفي سنة 1798م هاجم نابليون مصر ، فأعلن الباب العالي الحرب عليه وأمر البلاد التابعة له أن تعلن الحرب عليها أيضا² ، لكن "الداي مصطفى"³ تردد في البداية إلا أن إصرار الباب العالي جعله يعلن الحرب على فرنسا في 24 جانفي 1801م غير أن هذا الأخير إتصل بالقنصل الفرنسي ومنحه الوقت اللازم لتمكين الفرنسيين من مغادرة الجزائر ، وأخبره أنه اضطر إلى إعلان الحرب على فرنسا غير أن هذه الحرب لم تدم طويلا⁴، ثم عادت العلاقات بعد أن شرع بونابرت في التعامل مع داي الجزائر ، وعاد السلم بين فرنسا والباب العالي ف وقعت معاهدة الصداقة بين فرنسا والجزائر في 17 ديسمبر 1801م بين المكلف بالأعمال و محافظ العلاقات التجارية للجمهورية الفرنسية ، وبين "مصطفى باشا" وهي المعاهدة التي أكدت المعاهدات السابقة المتعلقة بالملاحة والتجارة ووضعت الإتفاقيات والنصوص المتعلقة بالامتيازات الممنوحة لشركة إفريقيا موضع التنفيذ من جديد وأمرت باستعادة الأشياء المصادرة ما عدا تلك المتعلقة بتصفية الحسابات الخاصة بمؤخرات الديون⁵.

¹الغالي غربي، العدوان الفرنسي على الجزائر (الخلفيات والأبعاد)، منشورات المركز الوطني للدراسات البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، ط خ ، 2007 ص 55.

²أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص 76.

³الداي مصطفى:(1798-1805م)، من أشهر دايات الجزائر وله ناحية تدعى باسمه إلى اليوم بالعاصمة حيث كان قصره ينظر : نفسه، ص 76.

⁴مبارك محمد الهيلالي الميلي ، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية الجزائر، 1964م، ص251.

⁵ علي تابلت، الرئيس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770 ، 1815، منشورات ثالة الأبيار، الجزائر، 2006، ص 10-09.

على الرغم من كل التسهيلات التي قدمتها الجزائر لفرنسا وعرضت نفسها للخلاف مع الباب العالي ، من أجل الحفاظ على صداقة بلد عريق ، غير أن فرنسا لم تعاملهم بالمثل وقضت على هذه الصداقة والوفاق الذي كان قائم بينهما .

ففي بداية القرن 17م تعكرت صفوة العلاقات الفرنسية الجزائرية بسبب تخطي مؤسساتها للقوانين المتفق عليها سابقا ، بحيث عملت على إقامة تحصينات أمام مراكزها¹، هذا إضافة إلى امتناع القناصل الفرنسيين من بينهم "ديبوتانفيل" عن تقديم الهدايا المعتادة ولما طالب بها ، كان رد "نابليون" قاسيا حيث قال : "إن فرنسا نابليون ، غير فرنسا "آل بوربون"²، إضافة إلى وجود مشاكل جزئية جعلت منها فرنسا المساعي الأساسية التي تتعلق بمبادئ الكرامة ، تمثلت في ديون "بكري" و"بوشناق" ، أما المسألة الثانية فهي تخص إدعاء فرنسا في حقها على رعاية السفن البابوية وإلزام الجزائر باحترامها أما المسألة الثالثة فتتمثل في إصرار فرنسا بأن تتنازل لها الجزائر على عدم تفتيش سفنها³ ، نستنتج مما سبق أن فرنسا تتكرت لجميل الجزائر فسرعان ما جمعت قواها ، فكان هدفها هو تعكير جو العلاقات لأحكام القبضة على الجزائر . بحيث أنها تدهورت بعد قيام الثورة الفرنسية سنة 1789م وتحديد سنة 1799 ويمكن حصر أسباب التدهور في :

أولا : تماطل فرنسا في تسديد ديون رعايا الجزائر .

ثانيا : قيام فرنسا بإرسال حملة إلى مصر واحتلال القاهرة في جويلية 1798م.

حاولت بريطانيا جر الجزائر للدخول في حرب ضد فرنسا⁴ ، وهو ما حصل في النهاية تحت تأثير الرأي العام وإلحاح السلطان العثماني حيث أعلن "الداي مصطفى" الحرب ضد فرنسا ، في 21 ديسمبر 1798م إلا أن القنصل "ديبوتانفيل" إتفق معه في 18

¹ يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 102.

² محمد خير فارس ، المرجع السابق ، ص 137.

³ جمال قنان ، دراسات في المقاومة والاستعمار ، ج 4 ، منشورات وزارة المجاهدين ، الجزائر ، ط خ ، 2009 ، ص 15-16 .

⁴ محمد رزيق ، العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال معاهدة التافنة 1837م ، دار طليطلة ، ط 1 ، الجزائر ، 2013 ، ص 45.

جويلية 1800م على ضرورة إبرام صلح مع الجزائر¹، بحيث تم توقيع معاهدة الصلح في 17 ديسمبر 1801م، إلا أن هذه العلاقات سرعان ما ساءت لتتحول من علاقات صداقة إلى علاقات استفزازية عدوانية نتيجة الأسباب التالية:

أولاً: دور القنصل الفرنسي "ديبوتانفيل" في توتر العلاقات بين البلدين.

ثانياً: سعى "نابليون بوناپرت" إلى غزو المغرب الإسلامي بعد الهزيمة التي ألحقت به من مصر عام 1789م.

ثالثاً: تحويل إمتياز استقلال الباستيون إلى بريطانيا منذ جانفي 1807م بعد تراكم المخلفات المستحقة على الفرنسيين².

وفي سنة 1806م إنتهت العلاقات السلمية مع فرنسا³، بحيث ساءت لأن القنصل "ديبوتانفيل" و القنصل "دوفال" يستعملان لهجة غير لائقة بالداي فأمرهما هذا الأخير بمغادرة البلاد⁴.

نستنتج من خلال ما تم تقديمه أن الجزائر رغبت دوماً في إقامة علاقات طيبة مع فرنسا، غير أن هذه الأخيرة سرعان ما غيرت من معاملتها نحو الجزائر و ذلك بالتذرع بأسباب كانت في السابق لا تعيرها الإهتمام مثل المطالبة بعدم الإعتراف بالسفن البابوية، كما أنها نصبت لها قناصل بالجزائر كانوا طيلة تواجدهم بالجزائر يسعون لإثارة الخلافات و المشاكل بين البلدين.

¹ بكار العايش، المرجع السابق، ص 164.

² محمد رزيق، المرجع السابق، ص 45.

³ أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830 - 1855)، ج 1، دار الأمة للجزائر، ط خ، 2009، ص 53.

⁴ نفسه، ص 65.

المبحث الثاني : دور القناصل وأهم المعاهدات والإتفاقيات .

أولا : دور القناصل :

عرفت ظاهرة التمثيل الدبلوماسي في ظل المجتمعات القديمة ، والتي كانت تمثل "إدارة العلاقات الدولية عن طريق المفاوضات ، وهي الأسلوب الذي يستخدمه السفراء والمبعوثين لإدارة وتسوية العلاقات وهي وظيفة الدبلوماسي فئة" وهذا حسب ما يراه "صلاح أحمد هريدي علي"¹، وقد تمتع القناصل²، والمبعوثين بالاحترام والمعاملة الحسنة تليق بهم بمكانتهم، لما كانوا يقومون به من مهام تربط بين بلداهم والبلد الوافدين إليه، وقد شهدت الجزائر وصول العديد من القناصل من كل البلدان التي كانت لها علاقة معها ونخص بالذكر فرنسا التي أوفدت إلى الجزائر ممثلين لفئات متعددة من القناصل وهم كالتالي :

✓ قناصل التجار .

✓ قناصل البحر .

✓ قناصل على البحر .

✓ قناصل ما وراء البحر .

وأخيرا القناصل المبعوثين أو المعينون : "وهم الذين تعينهم دولهم وتبعث بهم لتولي الوظائف القنصلية في الدولة الوافدين إليها مقابل راتب مالي، ولا يجوز لهم قبول أي عمل أو وظيفة خارج إطار وظائفهم القنصلية، كما أنهم رعايا الدولة التي توفدهم"³.

¹ صلاح أحمد هريدي علي، تاريخ العلاقات الدولية والحضارة الحديثة، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2003، ص 42.

² القنصل : هو ممثل ترسله دولة إلى دولة أخرى أجنبية لأجل حماية حقوقها وتجارها وأصل الكلمة لاتينية تعني مستشار. ينظر: فرحات بن صفا، العلاقات القنصلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الحقوق ،جامعة قسنطينة، 2013، ص 72.

³ بركاهم دهان، دور القناصل الفرنسيين من العلاقات الجزائرية الفرنسية 1689 1789، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تاريخ حديث، جامعة غرداية، 2012 2013، ص 12.

وبموجب معاهدة الإمتيازات المبرمة بين الدولة العثمانية وفرنسا في القرن السادس عشر كان لهذه الأخيرة الحق في إنشاء قنصليات بالجزائر، و قوبلت مسألة التمثيل الدبلوماسي الفرنسي بالجزائر بالرفض من قبل الجزائريين إلى أن قدر لها النجاح سنة 1578م¹.

وكان أول قنصل وفد إلى الجزائر "موريس سورون MAURICE SAURAN" سنة 1578م بحيث أنه مع نهاية القرن السادس عشر استطاعت فرنسا أن تثبت لها قنصلية بالجزائر²، لهذا اعتبر القنصل الوكيل السياسي والدبلوماسي بحيث تكفل بالقضايا السياسية والدبلوماسية القائمة بين دولته والدولة التي يمثلها فيها، وهذا ما جعل القناصل الفرنسيين بالجزائر من خلال هذا الدور أن يؤثروا على سير العلاقات فبحكم أنهم كانوا يمثلون السلك الدبلوماسي في الجزائر كانت لهم علاقات مباشرة مع الدايات وأصحاب المراكز العليا في السلطة وبنيت هذه العلاقات على حساب شخصية القنصل والمصالح القائمة بين الطرفين³.

وكان مجرد تعيين قنصل توفد معهم الهدايا إلى الداي وزرائه و هذا إن دل على شيء فإنه يدل على السلم والمصالحة لاعتبارها الوسيلة الوحيدة لخدمة المصالح وضرب المنافسين خاصة الإنجليز و هولندا، وأنه بمجرد تأخر الهدايا القنصلية كان يؤدي في بعض الأحيان إلى التنافر بين القنصل من جهة والداي ورجاله من جهة أخرى ، وقد يصل الأمر في بعض الأحيان إلى حد توتر العلاقات مع فرنسا⁴، بحيث اعتبر الفرنسيون الهدايا القنصلية إبتزازا للقناصل ودليلا على جشع وطمع دايات الجزائر، وكانت فرنسا تغير قنصلها كل ست أو سبع سنوات وأحيانا قد تتجاوز هذه الفترة ، وهناك بعض

¹ نفسه، ص 18.

² نفسه، ص 19.

³ نفسه ، ص 38.

⁴ جون وولف ،المرجع السابق، ص 380.

القناصل تطالب الحكومة الجزائرية بتغييرهم لسوء تصرفاتهم وتورطهم في مشاكل تؤذي العلاقات بين البلدين¹.

ولم يقتصر دور القناصل على العمل السياسي أو الدبلوماسي فقط بل تعداه إلى حماية المصالح التجارية لا سيما أن العلاقات الجزائرية الفرنسية منذ بدايتها كانت تجارية²، خاصة في الدفاع عن حق الإحتكار الممنوح للفرنسيين وتكثيف الجهود لتوسيع تواجد التجار في الموانئ الجزائرية ففي سنة 1696م "Renélemaine" قدم طلبا للداي يقتضي بمنع بحارة طبرقة وجنوة من اصطيد المرجان في مياه القالة ، لكن الداي أعطى موافقته للجنوبيين لأنه كان غاضبا من القنصل بقضية تخص الأسرى وتقديم القنصل لهذا الطلب كان بحجة أن مياه القالة خلال ذلك الوقت كانت في إحتكار الفرنسيين وهذه الحادثة جرت القنصل إلى السجن³.

كما لعب القناصل الفرنسيون دورا في عملية إفتداء الأسرى الفرنسيين بالجزائر والتقليل من معاناتهم، إلى جانب التنظيمات الدينية التي تقوم بمثل هذه العمليات ويعتبر القنصل الفرنسي هو الحامي الغير رسمي لرجال هذه التنظيمات⁴.

"و جمعت القناصل علاقات باليهود كانت قائمة على أساس المصالح حيث يشير أرشيف المصالح بمرسيليا بأن القنصل "أنطوان دورون" قد دفع في 2 مارس 1728م مبلغ 400 بياستر لحصول اليهودي "Isaac Israeb" على حريته وذلك بعد أن قضى ست سنوات في الأسر"⁵.

ولم يكتف قناصل فرنسا بإقرار وتثبيت المعاهدات السياسية فقط بل حتى المعاهدات التجارية الخاصة بالباستيون، حيث قام القنصل "جان أنطوان فالير" 1763-1773م بإقرار

¹ محمد زروال، المرجع السابق، ص 22.

² بركاهم دهان، المرجع السابق، ص 51.

³ يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية، المرجع السابق، ص 93.

⁴ جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، المرجع السابق، ص 141.

⁵ بركاهم دهان، المرجع السابق، ص 64.

معاهدة مبرمة 1695م بمعية وكيل الباستيون "مايفرن" Meifrund ، ويعتبر هذا العمل حماية المصالح التجارية الفرنسية كما كان يسمح لهم بإضافة بعض البنود على المعاهدات¹. وهذا ما سنتطرق إليه في الجزء المتعلق بالإتفاقيات.

وقد تعدى دور القناصل من الوساطة بين الجزائر وفرنسا إلى الدول الأوروبية فقد قام القنصل "فالير" ولو بشكل غير رسمي بالتفاوض حول السلم بين الجزائر والدنمارك وكان ذلك قبل أن يغادر الجزائر 1773م ، تمكن هذا الأخير من ذلك لأن الداوي وافق على الصلح مع الدنمارك رغم أنه كان رافضا له².

ووصل الأمر بالفرنسيين إلى حد أنه عندما سجن باي قسنطينة "الشيخ بلعباس" تدخلوا لإطلاق سراحه سنة 1744م ، مقابل أن تدفع الشركة الضريبة³. ويتضح لنا من خلال هذا أن تدخل القناصل الفرنسيين في الشؤون الداخلية للجزائر أثر على سير العلاقات وجرها نحو الإنحلال و اللاستقرار.

كانت فرنسا في بداية الأمر تحرص على أن تسير علاقاتها بالحكومة الجزائرية على أفضل ما يرام ، حتى تستطيع أن تكسب ودها ومساعدتها ولهذا كانت تقدم تعليمات لقناصلها تطلب منهم اللجوء إلى التفاهم وأن عليهم أن لا يعتمدوا إلا على أنفسهم وعليهم أن يكسبوا ود وثقة الدايات المتنفذين وأن لا يلجأوا إلى التهديد ، فلقد كتب القنصل "لومير".... أنت عندما تريد أن تبين لهم (الدايات) الأمور برفق يفرضون عليك الصمت، وإذا عرضتها يصرخون كبائنات السمك ويجعلونك تتحمل شراستهم التي ينبغي عليك أن تتقبلها كالعسل دون أن يكون لك وقت للإستفسار"⁴.

وبهذا زود وزير الخارجية الفرنسي القنصل "لومير" بضرورة التحرك وفقا لرغبات الداوي، وأن الأدب الدبلوماسي يقتضي على كل قنصل أن يفهم ذلك ويلتزم به لأن

¹ جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، المرجع السابق، ص 387.

² بركاهم دهان، المرجع السابق، ص 77.

³ نفسه، ص 91.

⁴ محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 134.

ذلك حقيقة واقعة فالقنصل المعين في الجزائر، إما أن يعيش مع الجزائريين بتفاهم أو يسحقوه، وعلى فرنسا إدراك ذلك جيدا.¹

يتضح أن فرنسا كانت تتابع عمل قناصلها بالجزائر بشكل مستمر مع أخذ الحيطة والحذر لتجنب الدخول في مشاكل أو مناورات مع دايات الجزائر، مما يفقدها مكانتها التي حضيت بها في الجزائر على غرار بقية الدول غير أن هذه المعاملة الحسنة من طرف القناصل مع الدايات لم تدم طويلا فسرعان ما تحولت إلى حالة من النفور والتوتر، ومن بين القناصل الفاعلين في المأساة الجزائرية نذكر :

✓ القنصل فالير valire :

"وصل القنصل "فالير" إلى الجزائر يوم 15 جانفي 1791م حيث استقبلته السلطات حسب التقاليد المعروفة وفور وصوله توجه به القنصل "دي كيرسي" إلى الداي الذي رحب به ولكن بنوع من البرودة، لأنه كان ينتظر أن يصطحب معه الأسرى الجزائريين اللذين كانوا على متن السفينة الجينوية ودفع ما تبقى من التعويضات التي وعدت فرنسا بتسديدها عند إلحاق قنصلها الجديد بمنصبه"²، لقد أحس "فالير" بهذه البرودة خاصة لما طلب منه الداي تأجيل إستقبال الهدايا التقليدية التي حملها معه معلنا أنه ليس هناك ما يدعوا للاستعجال ومن هنا ألح فالير على ضرورة عمل كل ما هو ممكن من أجل إرضاء الجزائر خاصة طلبها المتعلق بالغنيمة الجينوية.³

و أكد أنه في حالة وجود أي تباطؤ سيؤدي إلى تعكير العلاقات وهو ما أزعج "فالير" لأنه لا يرغب في أن يستهل عمله بنشوب خلاف بين البلدين ، أظهر الطرف الجزائري إيجاد تسوية لهذه المشكلة ، كما أظهر ليونة كبيرة عند مناقشة هذه المسألة

¹ عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، تر: محمود علي عامر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط1 ، 1989م ، ص ص 432-433.

² جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1783م، طبع المؤسسة الوطنية للإتصال و النشر و الإشهار ، ط خ ، الجزائر ، 2005م، ص 32.

³ نفسه ، ص 32.

حيث عرض القنصل تعويضها نقدا ولم يتردد الداوي ووافق على ذلك بعدما كان المبلغ 5000 سلطاني جزائري في البداية فقبل الداوي بإقتراح القنصل مبلغ 2000 سلطاني جزائري فقط مراعاة لحقوق الصداقة¹.

نستنتج أن الجزائر كانت تدفع بكل ما أوتيت من قوة للحفاظ على الصداقة العريقة التي جمعتها بفرنسا ، غير أن هذه الأخيرة لم تكن تبادلها نفس الإهتمام بهذه الصداقة . ومما يدل على هذا الطلب الذي قدمه الداوي "فالير" لإرسال سفينة تنقل المبعوث الذي يريد إفاده إلى القسطنطينية لتبليغ خبر تعيينه ، والتماس فرمان التولية والخلع كما جرت العادة غير أن هذه السفينة الفرنسية لم تصل ، هذا ما جعل القنصل "فالير" يكتب إلى باريس ويستعجل إرسال السفينة التي أقر الداوي "سيدي حسن" أن تحمل المبعوث الجزائري إلى القسطنطينية هذا ما جعل الداوي يفقد ثقته في القنصل الذي يعد ويخالف² ومما يؤكد نكران الجميل الذي قدمته الجزائر لفرنسا عندما قدم "مونج" كاتب الدولة للبحرية الفرنسية إلى القنصل "فالير" العديد من التعليمات، جاء من بينها بأنه عليه أن يصرح للداوي رسميا " بأن الجمهورية لاتبيع صداقتها كما أنها لا تريد أن تشتري صداقة الجزائر بالهدايا وعليه يجب أن لا تعود للمطالبة بها منذ الآن فصاعدا"، على غرار هذه اللهجة التي عاملت بها فرنسا الجزائر نجد أن هذه الأخيرة لم تتخل عن رابط الصداقة الذي جمعها بفرنسا ، بحيث أن الجزائر إستجابت لطلب الإعتراف بالجمهورية الفرنسية بدون تردد ، والتزمت بمساعدة الفرنسيين على إقتناء ما يحتاجونه من مواد غذائية في الحدود التي تسمح بها إمكانيات البلاد ، وفي رده على رسالة وزير الخارجية أكد الداوي أن بلاده ستبقى وفية بالتزاماتها كما نصت عليها المعاهدات المبرمة بين البلدين ، وبأنها ستحترمها بكل دقة وإخلاص "ما لم يتم انتهاكها وخرقها بأمر من أعضاء حكومتكم"³.

¹ نفسه، ص 32.

² جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية ، المرجع السابق ، ص ص 34.35.

³ نفسه، ص 32.

v شارل دييوتانفيل charle débou tanvill:

منذ شهر سبتمبر 1798م قررت المديرية التنفيذية تعيين قنصل جديد خلفا للقنصل "مولتيديو" و كان "دييوتانفيل" يتابع كل ما يجري في الجزائر وذلك بأمر من "نابليون بونابرت" ففي إحدى مراسلاته الأولى أبلغه أن أعوان شركة بكري إتصلوا به لكنه إلّتم جانب التحفظ ، والأخطر من ذلك أن هناك ضغوط كبيرة تمارسها روسيا وإنجلترا ولربطها بتحالف ضد فرنسا و اعتبر "تانفيل" أن أفضل وسيلة لضمان حياد الجزائر هي ديون رعاياها "فهو أحسن ما في أيدينا يمكن أن نضمن به صداقتها"¹.

ومنذ 1799م بدأ "تانفيل" يلح على حكومته لإعادة ربط العلاقات مع الجزائر وهذا بسبب المعلومات التي تلقاها من التجارين "بكري" و"بوشناق"، حيث أصبح على إتصال وثيق بهما ، وأن الجهود التي يبذلها في هذا الإتجاه ستثمر وأن هذه المفاوضات مع الجزائر ستأتي بنتيجة.² وهذا ما سنتحدث عنه لاحقا.

وفي سنة 1800م إستقبل الداي القنصل "دييوتانفيل" وتطرق إلى مسألة إحتلال مصر حيث ندد بهذه العملية وتحدث حولها طويلا بلهجة تخللتها نبرات من الغضب إلا أن القنصل رد عليه بأنه لم يكن يهدف سوى للنيل من إنجلترا عدوتنا المشتركة ، وأن بلاده لم يخطر لها الإستيلاء على أي جزء من الأراضي الإسلامية ، إضافة إلى أنه طرح موضوع ديون التجارين حيث طلب الداي تسديد مستحقاتهم في أقرب الآجال ، وهذا ما وعد به القنصل وأكد أن حكومة بلاده ستقوم بدفع أقساط هذه الديون بمجرد عودة العلاقات السياسية والتجارية بين البلدين³، وفي سنة 1808م قام "دييوتانفيل" باستقبال الجاسوس "بوتان" و ساهم في تنظيم إقامته وأمن له كل ما يحتاج من تدابير وإجراءات قانونية ، ليتمكن من إنجاز مهمته في ظروف ملائمة ، وفي سنة 1802م كلف "تانفيل" من

¹ عفرون محرز، مذكرات من وراء القبور ، ج1 ، دار هومة ، الجزائر ، ط خ ، 2008م، ص 325.

² جمال قنان ،العلاقات الفرنسية الجزائرية، المرجع السابق ، ص 114.

³ نفسه، ص ص 114-115.

طرف "نابليون" بمهمة المصالحة مع الداى أسفرت على تبادل عدة رسائل بين حكام البلدين عن إطلاق سراح بعض البحارة الفرنسيين الذين كانوا أسرى لدى الإيالة¹.

ورفض "ديبوتانفيل" أداء الإتاوات والهدايا القنصلية وهذا ما عبر عنه للخرناجي إن تصرفات هذا القنصل وتحركاته لوحظ عليها أنه محى تماما من ذاكرته الحالة التي وصل عليها إلى الجزائر أول مرة ، وكيف إستقبلته سلطات البلاد وقدمت له الرعاية والإحترام متحدية في ذلك كل من إنجلترا والدولة العثمانية، ويبدو أن الهدف الذي يسعى إليه "ديبوتانفيل" لم يكن لإعادة الإستقرار للعلاقات بين البلدين، وإنما سعى إلى تأزمها وجعلها في حالة غليان دائم ، حيث كان هو نفسه مصدر قلق لتلك العلاقات²، و عرضها ما بين 1800م إلى 1814م إلى صعوبات كبيرة بسبب تقلب مزاجه وحالته الشخصية ،ورأى أنه من غير اللائق بمكانته تلبية دعوة ديوان البحرية لحضور مداولاته لاعتبار أن المعاهدات القديمة وكذلك الجديدة تنص على أن ممثل الحكومة الفرنسية لا يتعامل إلا مع السلطات الأولى في البلاد.³

ساهم القنصل "ديبوتانفيل" في سوء العلاقات بين البلدين وهذا بالطبع ليس بدافع شخصيته إنما رغبة حكام فرنسا في ذلك ، لا سيما "نابليون بونابرت" و"تاليران" . هذا الأخير الذي لعب دورا أساسيا في المعاملات التجارية "لبكري" و"بوشناق" وأنه كان يأخذ الرشاوي لتلبية مطالب اليهود وحكومة الجزائر، فقد شاع عن "بكري" قوله : " إذ لم يكن الأعرج ، مشيرا إلى "تاليران" ملك يدي ما كنت أستطيع فعل شيء في باريس "، والظاهر أن "تاليران" تأمر مع اليهوديان لتسوية ديونهم أولا في الوقت الذي كان الداى يلح فيه لإستقاء ديونه.⁴

¹ عفرون محرز، المرجع السابق، ص 325.

² جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية، المرجع السابق، ص ص 142.143.

³ جمال قنان ،معاهدات الجزائر مع فرنسا ،المرجع السابق، ص 116.

⁴ صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 80.

من خلال ما تم ذكره نلاحظ أن فرنسا كانت تختار القناصل خاصة ذوي السمعة السيئة في الأوساط الفرنسية .

وما يؤكد أن "ديبوتانفيل" كان تسيره الأموال القنصلية الفرنسية سيء للغاية حتى أن لجنة التحقيق الفرنسية اتهمته باختلاس كثير منها ، وحكم عليه بمصادرة أمواله لصالح الخزينة الفرنسية ونظرا لمواقفة الملتوية طالبت السلطات الجزائرية من فرنسا بإبعاد ديبوتانفيل ، وتعين شخص جديد مكانه¹.

لأن "ديبوتانفيل" طالب بإعدام الرئيس "علي طاطار" الذي جلد ضابط السفينة الفرنسي في ميناء تونس ، كما أكد له أن يشدد لهجته مع الداوي وأن يطلب وبصرامة بإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين ، وأن لا يخشى القطيعة مع الداوي وعليه أن يخاطبه باللهجة المناسبة في هذه الحالة².

وفي عام 1809 م قدم "ديبوتانفيل" تقرير إلى حكومته حث فيه على ضرورة إرسال حملة عسكرية على الجزائر، وإقترح أن ترسل فرنسا مزارعين فرنسيين إليها لإنشاء مستعمرات فرنسية³.

على ما يبدو أن دور القناصل لم يكن في الجانب السياسي والتجاري فقط بل تعداه إلى تقديم تقارير حول ما تتوفر عليه الجزائر ، وطرق الحصول عليه لاستفادة فرنسا منه .

٧ القنصل بيار دوفال pierre duval

إن طبيعة ونوعية العلاقات بين بلدان العالم هي التي تملي على قادتها إختيار وتعين الدبلوماسيين اللذين تراههم الأنسب لتمثيل بلادهم، وذلك حسب المصالح التي يجب رعايتها وحسب حجم العلاقات المرغوب في إقامتها، وهذا ما جعل فرنسا تعين "بيار دوفال" قنصلا لها بالجزائر سنة 1815م⁴، وهو ابن ترجمان السفارة الفرنسية في إسطنبول

¹ جمال قنان ، معاهدات الجزائر مع فرنسا ، المرجع السابق ، ص 117.

² جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 145.

³ يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 108.

⁴ عفرون محرز ، المرجع السابق ، ص ص 332-333.

أمضى فترة طويلة في آسيا الصغرى¹، وقد عرف باعتماده على الإجراءات الملتوية الفاسدة وكان شائعا عنه أنه رجل فاسد، ولم يكن موضع الثقة في مرسيليا أو الجزائر، بل أن غرفة تجارة مرسيليا كانت تدعو إلى التخلي عن التعامل مع هذا الرجل الذي كانت لا تركز مشاريعه على أي فوائد تكون موضع ثقة²، وقد تم تعيينه دون علم منه لأنه لم يكن بحاجة إلى تعليمات خاصة، ما عدا تلك التي تدعوه إلى تجميد الأمور وعدم الرد على أي إستفسارات بخصوص صفقة تجارية تكون فرنسا قد أبرمتها منذ أمد طويل، مع طائفة التجار بمدينة الجزائر والذين زودوها بالحبوب والمواد الغذائية كما أشرنا سابقا³.

و بمجرد إختيار فرنسا للقنصل "دوفال" يعتبر تمهيدا لنيتها السيئة ضد الجزائر لأن معظم المؤرخين يقرون بأن "دوفال" قادر على تدبير الدسائس، وتعكير صفو العلاقات بين الجزائر وفرنسا.

إن تعين "بيار دوفال" كقنصل فرنسا بالجزائر من طرف الحكومة الفرنسية جاء ليؤكد بداية تطبيق المخططات الإستعمارية الفرنسية في الجزائر، التي بدأت منذ وقت سابق⁴. حيث كلفه الأمير "دوبييفون" debenevent رسميا بطمأنة الداي خصوصا فيما يتعلق بديون بكري وهذا في بداية الأمر لإعتبار أن هذا الرجل مناسب لممارسة سياسية الغموض خصوصا فيما يتعلق بهذه المسألة⁵، ومهد لذلك بتقديم الهدايا القيمة وفي فترة أعيدت شركة الأصداف الفرنسية مع تخفيض الفوائد التي كانت تدفعها سنويا، إلا أن مشكل الديون ظل مطروح وكان "دوفال" يعمل على تعقيد الإجراءات القانونية في نظم

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 1663.

² عبد الرحمان نواصر، مسألة الديون الجزائرية على فرنسا و إنعكاساتها على علاقات البلدين، مذكرة لنسل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2010-2011م، ص 98.

³ عفرون محرز، المرجع السابق، ص 333.

⁴ عبد القادر فلوح، العلاقات الجزائرية العثمانية في الفترة 1818-1830م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2009-2010م، ص 88.

⁵ شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصر، 1827-1830م، دار الأمة، الجزائر، ط خ، 2008م، ص 45.

دولته المتعلقة بديون اليهوديين "بكري" و"بوشناق"¹، "وأن الطريقة التي إختارتها الإدارة الجزائرية في التعامل مع هذه المشكلة جعلتها معلقة على إمتداد ما يقارب سنتين ونصف، بحيث أبدت الجزائر للقنصل "دوفال" قبول العمل بإتفاق شهر مارس 1817م ، حيث نجد أن باريس تستمر في تشجيع قنصلها على مواصلة المناورات والتلاعب دون أدنى شعور بالمسؤولية إلى درجة جعلت تصرفاته تصل في بعض الأحيان إلى حد الاستفزاز، وخير مثال على ذلك أنه أثناء التحضير إلى إرسال الهدية التقليدية إلى السلطان بمناسبة تنصيب الداوي الجديد طلبت السلطات الجزائرية من القنصل تسليم الإتاوة المستحقة من المرجان، إلا أن "دوفال" نفى أن تكون فرنسا ملزمة بتقديم هذه الإتاوة"².

يمكننا القول بأن فرنسا كانت تدعي إيجاد حل لمشاكلها مع الجزائر وهذا بشكل ظاهري فقط من أجل استمالتها وجعلها تتذمر من هذه المماثلة في حل المسائل .

وفي سنة 1825م توصل إلى تعيين حفيده "ألكسندر دوفال" كنائب قنصل في بونة (عنابة) وخرقا لكل المعاهدات خاصة منها الأخيرة معاهدة 1818م، قام نائب القنصل بأمر من عمه أن يقوم بإشغال لتقوية المنشآت التجارية الفرنسية بالقالة وبونة وقام بإدخال الأسلحة³، أدى هذا السلوك المبهم إلى رد فعل في الجزائر وأرسل الداوي قواته لتهديم تلك البنايات، لقد عكرت هذه الحادثة العلاقات مع "دوفال"، وسنة فيما بعد زاد الوضع تسمما واستولت بواخر البحرية الجزائرية على باخرتين رافعتين علم الحبر الأعظم ، غير أن فرنسا الكاثوليكية "لشارل العاشر" أعطت حمايتها لهذا العلم، وطلبت من "الداوي حسين" سنة 1825م أن يحترمه في المستقبل وعد الداوي شخصا دوفال بإعطاء أوامر في هذا الإتجاه، شريطة أن ترسل الدولة الحبرية ممثلها إلى الجزائر لتسوية نزاع قديم وإبرام معاهدة سلم بآتم معنى الكلمة، ولمدة سنة لم تعترض البحرية الجزائرية سبيل أي سفينة رومانية غير

¹ صلاح العقاد ،المرجع السابق، ص 80.

² جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية ،المرجع السابق، ص 267.268.

³ شوقي عطالله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ليبيا تونس الجزائر المغرب، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ط1، 1977م، ص 256.

أن الفاتيكان لم ترسل مبعوث لحل النزاع وعلى هذا الأساس اعتبرت إيالة الجزائر أن روما قررت إستمرار حالة الحرب، ولهذا تدخلت بحريتها وقام الداي بتحرير البحارة الحبريين كدليل على حسن النية بعدما طالبت فرنسا بذلك¹.

ومما يدل على التصرفات السيئة للفرنسيين "دوفال" هو مطالبتهم المستمرة بحق فرنسا في صيد المرجان، وهذا وفقا للمعاهدات التي أبرمتها فرنسا مع الجزائر، وعند رفض الخزناجي هذا الطلب قام بتوجيه تهديد شبه سافر، "أنه يجب عليه أن لا يندهش الخزن ناجي إذا قامت الحكومة الفرنسية بإعلان أمام الملأ كون صيد المرجان هو حق لها غير قابل للتنازل بمقتضى المعاهدات المبرمة مع الدولة العثمانية²

ولما تجاهلت فرنسا مطالب "الداي حسين" في تسديد ديونها، إقتراح هذا الأخير حلا وسطا يقتضي أن تدفع فرنسا الأموال المحتجزة ويتعهد هو بتسوية مسألة الدائنين "بكري" و"بوشناق" وهذه المسألة سنعالجها في الفصل القادم فبعث برسالة إلى الملك الفرنسي أوت 1826³.

يقول فيها: "نطلب من فخامتكم مع وصول البلاغ مع "بيكولا بليفيل" ممثل خادمنا "يعقوب بكري" للحساب المتضمن المبالغ العائدة إلينا من فرنسا ونرغب في حضور خادمنا راية علم كاجن أثناء قيامكم بهذه العملية، لكونه على علم بكل ماله علاقة بها وفي النهاية فعند انتهاءكم من هذه العملية وحساب المبالغ المعروفة والمحقة أطلب منكم إبلاغنا بالوسائل التي ترضيكم وبدون تأخر بالقيمة الإجمالية التي أعطاه هذا الحساب، ثم إضافة الفوائد التي أنتجها هذا المبلغ مع النفقات المستوجبة أثناء هذه الفترة ، فترة بقي فيما هذا المال بعيدا عن الإنتفاع به"⁴.

¹ عمار حمداني، المرجع السابق، ص 50.

² جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية، ص 252.

³ يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 122.

⁴ عمار حمداني، المرجع السابق، ص 51.

وظل الداوي ينتظر جواب لكن دون جدوى لأن القنصل دوفال كان شديد المكر والخبث ، ويعرف الداوي وكل القناصل الأجانب المعتمدين بالجزائر ذلك عنه لهذه الأسباب كلها إعتقد الداوي وتأكد لديه أنه هو السبب في خلق كل المتاعب والمشاكل بينه وبين حكومته¹، هذا ما جعله يرسل رسالة إلى وزير الخارجية "دو داماس" de damas يقول فيها : "لم أعد أحتمل وجود هذا المتآمر عندي أبدا". حيث كان يتهمه بالابتزاز وقال أيضا: "إذا أرسلتم قنصلا جديدا يتمتع بالأخلاق الحسنة فسنمنحه كل الملذات ، المتاحة إذ نعتبر فرنسا الميتروبول الأكثر ارتباطا بنا كما بنيت ذلك دوما"² ،وبدل أن يجيبه "دوداماس" على هذا المشكل ومسألة الديون أغفل كل هذا واهتم فقط بالرسالة التي بعثها إليه في فيفري 1827 م المتعلقة بحادث أسر السفن البابوية والتي وقعت في اشتباك مع القوات الجزائرية حيث وقعت في قبضتهم وتعلل بالنسبة للمشاكل الأخرى التي كانت محل النزاع والخلاف بتعقيد الإجراءات القانونية غير أن الحقيقة كانت عكس ذلك لأنها بينت نية العدوان حيث أرسل "دوداماس" إلى الملك الفرنسي رسالة في 11 أفريل 1827م واقترح عليه إرسال أربعة سفن حربية لحصار الموانئ الجزائرية، كما أبلغ "دوفال" أن المفاوضات مع الداوي لم تجدي نفعا ، وأنها بصدد إرسال حملة نحو الجزائر وسيزود قائدها برسالة تهديد إلى الداوي وذلك من أجل تقديم ترضية كافية عن المشكلة المتعلقة بسفن البابا التي كانت تحت رعاية فرنسا أو أن فرنسا ستقطع علاقاتها مع الجزائر وتشرع في استعمال القوة³، على ما يبدوا أن فرنسا كانت قد حضرت لحصار الجزائر بشكل دقيق إلا أنها ظلت تنتظر السبب المقنع للقيام بهذا وبالفعل هذا ما جسده قنصلها دوفال .

وفي هذه الأثناء تمت المقابلة التاريخية بين كل من "الداوي حسين" و"القنصل دوفال" 29 أفريل 1827م والذي عرف بحادثة المروحة، وبهذا الموقف تم الإعلان عن القطيعة

¹ يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 122.

² شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص ص 50-51.

³ يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 122.

وبصفة رسمية بين كل من الجزائر وفرنسا ورغبت هذه الأخيرة في استعمال القوة ضد الجزائر، وهذا ما حدث بالفعل وسنفصل فيه لاحقا ولا رشك أن "دوفال" عندما تصرف هذا التصرف العجيب كان ينتظر وصول الحملة البحرية التي أخبره بها "دوداماس" في مطلع الشهر نفسه، مما يؤكد على وجود فكرة التواطئ على تصرفه ورغبة حكومته بأن يثير ما أمكن من المشاكل والخلافات، ونجد أن "دوداماس" بعث إلى دوفال أن يوقف أعماله مع الداي وحكومته ويترك الأمر لقائد الحملة الذي سيأتي لنيل الترضية خلال 24 ساعة، وأنه يستعمل القوة للإنتقام لكرامة فرنسا التي أهينت حسب زعمه في شخص "دوفال"¹.

نستنتج من خلال ما تم عرضه أن فرنسا عملت على تعقيم جو العلاقات بينها وبين الجزائر من خلال إرسال قناصل ومبعوثين لم يكونوا كفاء ليتقلدوا مثل هذه المناصب ولم تترك للجزائر أي فرصة لتقديم حل وسط بين الطرفين لأنها كانت تغلق كل النوافذ التي ترى فيها الجزائر مخرجا لمشاكلها .

ثانيا :أهم الإتفاقيات والمعاهدات المبرمة بين الجزائر وفرنسا :

لقد ربطت الجزائر بفرنسا علاقات منذ القرن السادس عشر ميلادي هذا ما جعلها ترسل القناصل، كما ذكرنا سابقا، وعقدت معها مجموعة من المعاهدات والإتفاقيات سواء من الناحية السياسية والإقتصادية حيث قدرت ابتداء من 1619م إلى 5 جويلية 1830م حوالي 57 معاهدة²، فالمعاهدات هي بمثابة العقود الدولية التي لها صفة تشريعية ونصوصها وأحكامها بالنسبة للدول، التي تعقدها بمثابة قوانين واجبة التطبيق وفي المقارنة بين كل من الإتفاقية والمعاهدة يقول البعض أن مصطلح المعاهدة يطلق على العقود الدولية التي لها أهمية خاصة بالنسبة لأهدافها أو لموضوعها أو لمكانة الدول

¹ صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 81.

² يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 115.

المشتركة فيها، في حين أن الإتفاقية تتضمن تعهدات ثانوية محدودة قد تخص مسائل إقتصادية تجارية ثقافية ولو أنهم يسلمون بما يوجد من تشابه بين الإتفاقية والمعاهدة¹ .

من حيث الموضوع والنص والشكل في بعض الأحيان لدرجة أنه يصعب التمييز بينهما²، ومن هنا توصلنا الى التعرض لدراسة بعض المعاهدات التي أبرمت بين كل من الجزائر وفرنسا .

٧ معاهدة السلم 25 أفريل 1684 م .

"بعد رحيل "دوكين" قرر الداوي "الحاج حسين ميزو مورتو" أن يعمل كل ما في وسعه حتى لا يتجدد قذف المدينة التي تضررت كثيرا من العمليات السابقة، وكلف "دوصولت" مدير شركة الباستيون من أن يتوسط إلى إبرام صلح لا يكون على غرار صلح "دوكين" وبأسلوب أبلغ "دوصولت" رغبة الداوي إلى مجلس الدولة الفرنسي الذي رحبا بالعرض"³، لأن فرنسا في هذه الأثناء كانت قد أعلنت الحرب على أسرة آل هاسمبروغ النمساوية التي تحكم ألمانيا، ولهذا كانت ترغب بأن يكون بحارتها في مكان آخر بحيث الحاجة إليهم أجدى وأنفع من وجودهم بالجزائر.⁴

ولهذا قدم "تورفيل" إلى الجزائر في يوم 2 أفريل 1684م رفقة كبير بوابي الباب العالي القابجي الذي أوفده السلطان العثماني ليوضح العلاقة بين الدولة العثمانية وفرنسا وأن هذه الأخيرة ترغب في تحسين علاقاتها مع الجزائر، وإتسم "دي تورفيل du taurveille" بالمرونة مع الجزائر عكس الأميرال "دوكين" الذي تصرف بخشونة شديدة⁵.

وبعد عشرين يوم من المباحثات والمفاوضات تم الإتفاق على عقد معاهدة مع فرنسا مدتها مائة عام 25 أفريل 1684م، وهي بمثابة معاهدة السلم المؤي الأولى

¹ صلاح هريدي، المرجع السابق، ص 59.

² صلاح هريدي، المرجع السابق، ص 59.

³ يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية، المرجع السابق، ص 86.

⁴ عائشة محممة، المرجع السابق، ص 83.

⁵ عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 426.

وتضمنت 29 بندا ونصت على تبادل جميع الأسرى من قبل الطرفين وحللت القناصل من أي قروض سيئة، وحددت طريقة المرور وأكدت ما جاء في المعاهدات الفرنسية الجزائرية السابقة¹، وأثبتت هذه المعاهدة عددا من الترتيبات والتي تمثلت فيما يلي :

إلتزام الطرفان بإطلاق سراح كل من أسرى البلدين حسب القوائم التي سيتم تبادلها بينهما ، وتعهد مدير الباستيون من جهته بنقل الأسرى الجزائريين من فرنسا إلى ميناء الجزائر ، حيث يتم تبادلهم رجل برجل مع الأسرى الفرنسيين، وإتفق أن تكون فدية هؤلاء بمبلغ 300 جنية تورنو فرنسي عن كل أسير مهما كان المبلغ الذي يشتري به²

البند الثالث : والذي ينص على أن يقوم السلم بين إمبراطور فرنسا ومعالي الداي والديوان حتى يستطيع رعايا المملكتين من ممارسة تجارتهم والإبحار بكل أمان ولا يستطيع أحد أن يمنعهم من ذلك مهما كان السبب .

البند السادس : والذي نص على أن تعامل البواخر التجارية والحربية لفرنسا أو الجزائر بنفس المعاملة وأن تمنع البواخر المساعدة لبعضها متى إحتاجت لذلك³.

البند الحادي عشر : والذي أقر عدم جواز أسر فرنسي على متن سفينة معادية أو أجنبي على ظهر سفينة أجنبية ، تحت أي صفة كان عليها والأمر نفسه يطبق على الجزائر⁴.

البند السابع عشر : يحق لإمبراطور فرنسا أن يستمر في إقامة قنصلية بالجزائر لمساعدة التجار الفرنسيين⁵.

¹ محمد بن سعيدان، المرجع السابق، ص 79.

ينظر : الملحق رقم 3.

² عائشة محمة، المرجع السابق، ص 84.

³ يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية، المرجع السابق، ص 144

⁴ جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا ، المرجع السابق، ص 117.

⁵ يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية ، ص 147.

البند عشرين : يرخص للقنصل المعين باختيار مترجم و سمسار وله كامل الحرية في زيارة السفن الفرنسية في الميناء والعودة منها كلما أراد ذلك، كما يسمح له باختيار منزل في المكان الذي يراه مناسب .

البند الثاني والعشرين : القنصل المعين بالجزائر غير معني بتسديد ديون التجار الفرنسيين ما لم يتعهد بذلك كتابتا .

البند الثالث والعشرين : يعفى القنصل من دفع أي ضريبة على المواد التموينية وعلى السلع الضرورية للإستهلاك المنزلي ¹.

وبعد إبرام هذه المعاهدة توجه وفد إلى فرنسا صحبة "تروفيل" قاده "جعفر أغا" و 12 عضو من الديوان وقدم هذا الوفد إعتذار عن حادث القنصل "لوفاشي" ورفقائه وكل الحوادث التي صاحبته وأمضى الملك الفرنسي المعاهدة في 17 جويلية 1684م ².

كان لهذه المعاهدة أثر طيب على العلاقات بين البلدين ولو لمدة قليلة حيث تبادل الطرفان الهدايا فقدمت البعثة إلى "لويس الرابع عشر" 12 فرسا من أجود الخيول وتسلمت مقابل ذلك ثلاث بنادق وثلاث مسدسات وسيف مزركش بالأحجار الكريمة، و 12 مدلية ذهبية وستة زرابي فاخرة وفي شهر ماي 1686م جاء "دي تورفيل" إلى الجزائر مصحوبا بالهدايا للداي حسين والديوان منها مركب مزود ب 12 مدفع لتظهر فرنسا حسن نيتها في إقامة السلام بين البلدين ، لكنها في حقيقة الأمر لم تكن صادقة في ذلك وهذا ما أثبتته الأحداث إذ ما لبث أن تعكرت الأحوال وأعلنت فرنسا الحرب على الجزائر وتذرعت في ذلك بأن الحكومة الجزائرية قد سمحت ببيع إحدى الغنائم الفرنسية من طرف بحار من "سالا" بسوق العبيد بالجزائر ³.

¹ جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، المرجع السابق، ص 361.

² يحيى بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، مرجع سابق ، ص 87.

³ محمد بن سعيدان، المرجع السابق، ص 80.

v معاهدة 24 سبتمبر 1689 م .

هي معاهدة تابعة ومملكة لمعاهدة 1684م حيث تم عقدها عقب حملة "المريشال ديستري" والذي انسحب بناء على أوامر الملك، هذا الأخير الذي كان يحضر لغزو منطقة الراين وكذلك خشي المجلس الملكي من ضياع تجارة فرنسا في الشرق الجزائري، ولهذا أرسل الفرنسيون المترجم الفرنسي "ميركادي mer cadier واستطاع أن يجدد معاهدة "دي تروفيل" مع إدخال بعض التعديلات عليها في 24 سبتمبر 1689م، خاصة فيما يتعلق بقضية الأسرى" و إتفق الطرفان على تسوية المسألة بالشكل التالي¹، وهذا ما نص عليه البند الرابع من المعاهدة الذي يقوم على إتفاق الطرفان على حرية شراء الأرقاء بدون تمييز بينهم بالسعر الذي يتم الإتفاق عليه بين الباشا وقنصل إمبراطور فرنسا بسعر مائة وخمسين قريشا للشخص الواحد ومائة قرش للفرد بالنسبة للأهالي وتعهد الباشا بإطلاق سراح نفس العدد من الأرقاء الفرنسيين وبنفس السعر"².

ووضعت هذه المعاهدة حد للنزاع الذي كان شبه دائم ومصدر قلق بين الطرفين وهو المتعلق بكيفية معاملة الرعايا الفرنسيين والذين يعملون كمرتزقة تحت رعاية الدول الأجنبية المعادية للجزائر، و وافقت فرنسا على أن يتم معاملة هؤلاء كما يعامل الأعداء سواء بسواء، كما إتفق الطرفان على احترام رعايا بعضهم البعض وأبقت على البند الذي تعهدت فيه الجزائر بعدم السماح لرعاياها بالعمل تحت راية الدول المعادية لفرنسا كتونس وطرابلس، واتفق الطرفان على عدد من الترتيبات الأخرى التي أبقيت سرا وتعلق هذا الأمر بالثمن المخصص لإفداء الأسرى شرط أن لا يتجاوز ثمن شراءهم³.

ونص البند الحادي عشر على: "أن كل الفرنسيين الذين تم أسرهم من طرف أعداء إمبراطور فرنسا وسبقوا إلى الجزائر أو إلى أحد موانئ هذه المملكة يطلق سراحهم في الحال بدون إحتجازهم واسترقاقهم وحتى عندما يتم أسرهم من طرف سفن طرابلسية أو

¹ عائشة محمّة، المرجع السابق، ص 84.

² جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500 1830، دار هومة، الجزائر، ط خ، 2010، ص 158.

³ محمد بن سعيدان، المرجع السابق، ص 83.

تونسية أو غيرها ويساقون إلى الجزائر فإن باشا داي الديوان وأجاف مدينة ومملكة الجزائر سيعطون الأوامر لكل الحكام بحجز هؤلاء الأرقاء ليتم شراؤهم من طرف قنصل فرنسا بأفضل سعر ممكن ونفس الإجراء يتبع في فرنسا لرعايا مملكة الجزائر¹.

لم يوافق الديوان على البنود التي تمت بطريقة سرية لأن الإتفاق ينبغي أن يكون علنياً، وتمت دراسة هذه المعاهدة اعتماداً على النسخة الموجودة بحوزة المبعوث "مارسيل" وعقدت جلسات مطولة معه حيث تم تقديم البنود وإدخال تعديلات عليها وأكد الديوان على أن الإتفاق المعدل يحظى بموافقة الجميع، وأعلن الشرط المتعلق بتنفيذ هذا الإتفاق والذي تمثل في وصول السفن الخمسة وبعدها ستقوم هذه بتنفيذ ما عليها من التزامات مؤكداً "أنه منذ أن تأسست هذه الجمهورية لم يحدث مطلقاً أن تم التراجع عن إتفاق أو عهد قد أبرم"². أنهت معاهدة السلم المئوي الخلافات التي كانت قائمة بين البلدين وذلك لمدة مائة عام، حيث كانت تقوم بتجديدها في العديد من المرات والمناسبات بإضافة أو إلغاء بند وجل بنودها كانت تتعلق بقضية الأسرى و طرق إفتدائهم إضافة إلى بعض المسائل الأخرى المتعلقة برعايا فرنسا بالجزائر .

ونرى أن الفترة التي عقدت فيها معاهدة السلم تميزت بالإستقرار والهدوء رغم وجود بعض الأحداث التي أدت إلى إضطراب العلاقات بين الطرفين غير أنها لم تؤدي إلى قطعها .

٧ معاهدة 1801 م .

وقعت هذه المعاهدة في 17 أكتوبر 1801م بين المكلف بالأعمال ومحافظ العلاقات التجارية للجمهورية الفرنسية "ديبو تانفيل" وبين "الداي مصطفى" ، وهي معاهدة أكدت المعاهدات السابقة المتعلقة بالملاحة والتجارة كما أكدت أن الحرب التي نشبت بين

¹ جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا ، المرجع السابق، ص 358.

² محمد بن سعيدان، المرجع السابق، ص 84.

الدولتين لم تكن تتلائم وكرامة ومصالح كل منهما لهذا إرتأت إعادة أوامر العلاقات القديمة ، وقد نصت هذه المعاهدة على 19 بند نذكر من بينها :¹

البند الأول : تعاد العلاقات السياسية والتجارية بين الدولتين إلى الحالة التي كانت عليها قبل القطيعة.

البند الثاني : إن المعاهدات والإتفاقيات القديمة يتم إعادة إقرارها والتوقيع عليها في اليوم الذي يوقع فيه على هذا الإتفاق من طرف كل من الداي ووكيل الجمهورية .

البند الثالث : تعيد إيالة الجزائر إلى الجمهورية الفرنسية إمتياز الشركة الإفريقية بنفس الطريقة وبنفس الشروط التي كانت تتمتع بها فرنسا قبل القطيعة² .

البند العاشر : لا يجبر قادة السفن الفرنسية سواء الخاصة أو التابعة للدولة على شحن بواخرها بأي شيء رغما عنها أو إرسالهم إلى حيث لا يرغبون .

البند السادس عشر : يحق للقائم بالأعمال والمحافظ العام للعلاقات التجارية الفرنسية في التمتع بالحقوق والمزايا المشروطة في المعاهدات القديمة والإحتفاظ بالتفوق على وكلاء الجنسيات الأخرى³ .

البند الثامن عشر : في حالة القطيعة فإنه يعطى للفرنسيين مدة ثلاثة أشهر من أجل إنهاء أعمالهم و في أثناء هذه المدة فإنهم يتمتعون بحرية كاملة وحماية مطلقة في ظل المعاهدات كما في حالة السلم .

البند التاسع عشر : يقوم الداي مصطفى بتعيين "صالح خوجة" للتوجه نحو باريس بصفته سفير⁴ .

إن الملاحظ لهذه المعاهدة هو إعطاء فرنسا نفوذ كبير في الجزائر و منحها هذه الإتفاقية حماية ممتلكاتها ورعاياها على غرار الدول الأخرى في حال القطيعة.

¹ علي تابلبيت، المرجع السابق ، ص 9.

² جمال قنان، نصوص ووثائق، المرجع السابق، ص 320.

³ يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية، المرجع السابق، ص 152.

⁴ جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا ،المرجع السابق، ص 394.395.

الفصل الثاني

المبحث الأول : المشاكل التجارية ودورها في

توتر العلاقات - بكري وبوشناق -

المبحث الثاني : أهم الحملات والمشاريع الفرنسية

على الجزائر

المبحث الأول : المشاكل التجارية ودورها في توتر العلاقات (بكري و بوشناق) .

شهدت الجزائر هجرة كبيرة لليهود من مدينة " ليفورنة " ¹ ، خاصة مع نهاية الربع الأول من القرن 18 م ، سبب الأوضاع المزرية لجنوب إيطاليا ² ، هذه الأسر اليهودية إستقرت بالجزائر واستغلت المصاعب المالية للحكام الجزائريين وانتهزت الفرصة واحتكرت التجارة الخارجية وعلى رأسها أسرة "بكري" و"بوشناق" ³.

"أسرة بكري : هاجرت هذه الأسرة من ليفورنة واستقرت بالجزائر منذ 1774م والمعروف بإسم مستعرب ابن "زاهوت" ميشال كوهين بكري " جاء في البداية بمفرده إلى مدينة الجزائر في 1770م، وكان له دكان صغير للخردوات بنواحي "باب عزون" ، ثم إنتهت به أسرته وحقت نجاح كبير في مجال التجارة" ⁴.

أسرة "بوشناق" أو بوجناح : هاجرت بدورها من ليفورنة إلى الجزائر سنة 1723م وكانت أسرة جد فقيرة، حيث عمل رب الأسرة عند بعض التجار من بين قومه ، وسرعان ما تحسنت أوضاع العائلة إرتبط نفطالي بوشناق بالباي " مصطفى الوزناجي " باي التيطري 1775-1795 ⁵.

وذلك عندما زار هذا الأخير مدينة الجزائر الذي خشي من غضب الداوي عليه فلجأ إلى مكان تعذر على أصدقاءه ، فكان "بوشناق" الشخص الوحيد الذي شجعه ونقل له المؤنه وأقرضه مبلغا من المال في ظروف لم يكن "مصطفى الوزناجي" أن يعيدها إليه غير أن هذا الأخير عين بايا على قسنطينة وردا للجميل عين "بوشناق" رجل أعمال وأمين سره ، ومستشار باي قسنطينة ⁶.

¹ ليفورنة : هي مدينة بإيطاليا بها عدد كبير من التجار و السكان اليهود .ينظر : أحمد شريف الزهار ، المصدر السابق ، ص 99.

² محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية ، المرجع السابق، ص 257.

³ عبد الرحمن نواصر، المرجع السابق، ص 73.

⁴ نفسه، ص 73.

⁵ نفسه، ص 74.

⁶ عمار حمداني، المرجع السابق، ص 35.

وقد مارس اليهوديان تجارة القوافل في بداية الأمر ، والتي إمتدت بين الجزائر وقسنطينة، وكانت تشمل بضائع منها الحرير ، الأقمشة والمصاييح ، والخردوات الأوربية ، أما فيما يخص التجارة الخارجية فأختارها اليهوديان لعدة أسباب :¹

- عدم قدرة الجزائريين على ممارسة نشاطهم التجاري وذلك للعداء الذي واجهوه في البلاد المسيحية .

- عدم سماح الأوربيين للجزائريين من إقامة أسطول تجاري ، خاصة في الفترة الممتدة 1727م ، وذلك لوجود تحالف ضد الجزائر والذي تشكل من "بريطانيا ، فرنسا ، هولندا " .

- إطلاع اليهود على أحوال الإقتصاد العالمي ، وقدرتهم في تسيير المعاملات التجارية ومعرفتهم الواسعة للغات ، كما إستغلوا الظروف الداخلية التي كانت تعيشها البلاد (الجزائر) .

- الفوائد الكبيرة التي كان يوفرها النظام الاحتكاري والتي إستفاد منها "بكري" و "بوشناق" في تطوير رأس المال².

وكان اليهوديان بكري وبوشناق ماهرين في التجارة محتكرين جلها، ويصدرونها للبلاد الأوربية، حيث كانوا يقتانون السلع بأثمان زهيدة من الجزائر ، هذا الأمر جعلهم يشكلون ويمتلكون أرباح كثيرة³ ، وهذه السرعة في إكتسابهم للأموال لفتت إنتباه الدايات لتجارته مما جعلهم يكتسبون ثقتهم إلى درجة أن "بوشناق" قد تسرب إلى شؤون الدولة وصل به الحد إلى تعيين وعزل البايات ، مما جعل بعض الناس يطلقون عليه لقب " ملك الجزائر " ⁴.

¹ عبد الرحمان نواصر، المرجع السابق، ص 58.

² نفسه، ص 58.

³ عبد الحميد بن أشنهو، الدور الذي لعبته الجزائر خلال القرن 16 مجلة الأصالة منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2012، ص 302.

⁴ أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 35.

على ما يبدو أن "بكري" و "بوشناق" ، إستطاعا في فترة وجيزة أن يفرضا وجودهما في الجزائر وذلك لإمتلاكهما نفوذ قوي، حيث أثروا على المجال السياسي والتجاري خاصة، وهذا كله بفضل الدعم والثقة التي حظي بها من طرف الدايات .

وفي هذا الصدد يقول أشبودان: "...بفضل الدعم القوي إستطاعا القادمان من مدينة ليفورنة تشييد إمبراطورية مالية، وأصبح لهما نفوذ سياسي لا مثيل له في الوصاية وجمعت هاتين العائلتين معا ، وأصبحا من كبار تجار الجملة في البلاد ، ومن كبار البنوك للدايات ويحتكران لأنفسهم تجارة الحبوب"¹.

ويرى "مبارك الملي" أن شبكتهما التجارية مكنتهما من الإطلاع على بعض المشاريع والمؤامرات السياسية، التي قد تنظم في الخفاء كما مكنتهما من الإطلاع على خفايا البايات، وبواسطة إبلاغهم هذه المعلومات إلى الداي تمكنا من الإستحواذ على ثقة الداي، هذه الثقة مكنتهما من السيطرة على الجهاز الإداري الجزائري بأكمله ويتحكما في تسييره حسب مصالحهما².

ويمكن القول أن دورهما لم يقتصر على الميدان الخارجي فحسب بل كانت لهم تدخلات في الشؤون الداخلية، و كثرت في عهدهم قرارات العزل والولاية وهذه الإضطرابات لم تكن وليدة الصدفة، بل كان الهدف منها في نظرهما هو تمكين خزينة الجزائر من الحصول على مكاسب وأموال جديدة .

"وفي سنة 1780م إتخذ "بكري" من منزله مركزا تجاريا ووثق صلاته بقراصنة ليفورن وجنوة وبحارة الجزائر، ونشط في العمل التجاري حتى أصبح صاحب مركز تجاري كبير وثروة واسعة ثم تحول إلى وسيط تجاري لبيع غنائم البحارة والرياس الجزائريين"³.

¹ العربي أشبودان ، مدينة الجزائر، تر: جناح مسعود ، دار القصة للنشر، الجزائر، د.ط، 2007، ص 101.

² مبارك بن محمد الهيلالي الملي، المرجع السابق، ص 248.

³ يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية، المرجع السابق، ص 109.

وفي سنة 1786م تضخمت أعماله وأُشترك معه اليهودي "بوشناق" وأسسوا شركة تجارية ، حيث لعبت دور الوسيط بين الأهالي والشركة الفرنسية صاحبة الامتياز ، و أصبحت هذه الشركة تحدد أسعار الحبوب حتى وإن خالفت أسعار المنتجين،و في 1790م أنشأت الشركة اليهودية وكالة لها في عنابة ومن هذه المدينة مررت نشاطها إلى كل أنحاء الشرق الجزائري¹ ، وفي هذا الصدد "قال عنهم "دوبوتانفيل" DUBBOIS TAINVILLE القنصل الفرنسي بالجزائر : " هي الأسرة الوحيدة التي كانت تتميز بطموح واسع وتتمتع بثقة حكام الجزائر، فإنهم شركاء في كل مكان وإمتدت علاقتهم إلى باريس، مرسليليا، عنابة ،جنوة، ليفورن و مدريد وكل الموانئ الإسبانية ، لندن و لشبونة ، واستولوا على كل تجارة المغرب"² .

ومما زاد في نفوذ هذه الشركة إشتهارها بالمعاملات التجارية والتي إحتكرت ثلثي التجارة الجزائرية ، وعملت على تزويد الأسواق الفرنسية بالحبوب³ .

وفي سنة 1793م، كلفت الجزائر التجاريين اليهوديين بأن يكونوا وسطاء بينهما وبين فرنسا، واتفقوا مع هذه الأخيرة على أسعار بلغت أحيانا 70 ليرة تيرنو للحمل وحتى 100 ليرة⁴ ، "فظهر هذه الشركة في هذا الوقت يمثل إستجابة لمصالح الأطراف المعنية الثلاثة : السماح لفرنسا باستقبال كميات من القمح عن طريق مأمون ، فالعلم الجزائري يمثل حماية كافية لسفن الشحن المتوجهة لمرسليليا على اعتباره علم دولة محايدة للصراع الدائر ، كما أن هناك ميزة أخرى تمثلها هذه الوساطة المتمثلة في الدفع المؤجل، وهي ميزة لها قيمتها بالنظر للضائقة المالية التي كانت تعاني منها فرنسا و أن أسعار الحبوب التي كان يعرضها بيت "بكري" التجاري بمرسليليا كان مغريا ، مقارنة مع أسعار الحبوب

¹ صالح عباد ، المرجع السابق، ص 189.

² كمال بن صحرابي، المرجع السابق، ص ص 54.55.

³ ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر في التاريخ في العهد العثماني، ج4 ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1984، ص 78.

⁴ منور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، ج2، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2009، ص 392.

التي كانت تصلها عن طريق قنوات أخرى" ¹ ، ومن خلال هذه المعاملات التجارية إستطاعت هذه الشركة أن تكون شركة ضخمة وعلاقة وتمكنت من الصعود والإزدهار في بضع سنوات ومما يدل على هذا أن الصاع الواحد من القمح يشتري بمدينة الجزائر بما بين ثلاث فرنكات ونصف إلى أربعة فرنكات ، يصل سعره في فرنسا إلى 50 فرنك ².

وفي سنة 1794م تمكن التجارين من الحصول على جميع الإحتكارات التجارية في الشرق الجزائري لأسباب منها :

- أن مجلس إدارة الشركة الملكية الإفريقية أعلن يوم 17-جانفي-1794م أنه يحل الهيئة التي يشرف عليها ويتنازل للأمة عن جميع الإمتيازات، وعلى إثر هذا القرار ظل الميدان خاليا "لبكري" وشركاءه ، خاصة وأن الوكالة التي خلفتها الشركة واجهتها صعوبات منها :

عدم توفر رؤوس أموال ، وانعدام وسائل النقل ، مما جعل حكومة الجمهورية خاوية خزائنها تطلب من السيد "كيبان" حاكم القالة أن يتعامل معهم فيما يتعلق بشراء الحبوب ونقلها إلى مرسيليا ، وبهذا وجدت الشركة اليهودية في النقل وسيلة أخرى لتحقيق الأرباح فصارت تستأجر السفن الأجنبية وتزودها بجوازات سفر جزائرية ³ .

- "إن ممثل الشركة اليهودية في مرسيليا عرف كيف يتصل بالمسؤولين الفرنسيين و يكسب ثقتهم إلى درجة أنهم صاروا يتجهون إليه بدلا من وكالتهم التجارية لجلب معظم ما يحتاجونه من مواد غذائية وصناعية" ⁴ ، و أن هناك بعض القرارات سهلت السيطرة على بعض القطاعات الإقتصادية في الجزائر التي تمثلت في منح الإحتكار في مجال شراء وتصدير القمح إلى عائلة "بكري" و "بوشناق" اللذين

¹ جمال قنان، العلاقات الجزائرية الفرنسية، المرجع السابق، ص 296.

² نفسه، ص ص 296.298.

³ محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية ،المرجع السابق، ص ص 267 268.

⁴ محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية، المرجع السابق، ص 268.

حصلوا على أرباح تقدر بالملايين ، وهذا بفضل تموينهم للجيش الفرنسي و القوات الإنجليزية المتواجدة بمالطا وجبل طارق¹.

وعلى هذا الأساس نجد أن الشركة إمتد نفوذها لتموين موانئ خارج الجزائر بكميات هائلة من القمح بعدما حصلت عليها بمبالغ منخفضة ،وتعمل على بيعها بأسعار مرتفعة وهذا فعلا ما طبقته مع فرنسا أثناء ثورتها .

وفي سنة 1795م وقع تعاقد بين مصالح التموين في باريس ممثّل بكري وبوشناق لتزويدها بمائتي ألف حمولة نصفها على سعر مئة فرنك للحمولة الواحدة ، ونصفها الآخر على سعر مئة وعشرين فرنك فرنسي ، ينص الاتفاق أن يكون الدفع ثمن نقدي وأمام هذا التفوق الذي أحرزته في شرق الإيالة وفي فرنسا، اضطرت الوكالة الإفريقية إلى التنازل عن حقوقها والإنسحاب من ميناء جيجل والقل في أكتوبر 1795م، ومن هنا أصبحت الوكالة الإفريقية تلجأ إلى شركة "بكري" و"بوشناق"².

وفي سنة 1798م قام بونابرت بحملة على مصر ، فطلب وزير خارجيته "موريس تاليران" من "بكري" أن يزود الجيش الفرنسي بكميات من القمح تحمل على متن بواخر جزائرية، حتى لا يعترض طريقها الإنجليز وأكثر من ذلك أرسلت الشركة اليهودية شحنات من العتاد الحربي ، وكميات من الأقمشة والأدوية ، والزيوت وغيرها من المواد التي يحتاج لها الجيش أثناء الحرب³، ونظرا للتسهيلات التي قدمها التاجران لفرنسا والمتمثلة في الدفع طويل المدى، هذا ما أدى إلى تضخم ديون هاذين التاجرين وبالتالي فإن "بكري" و"بوشناق" قد تحصلا من الداي على سلفيات هامة ، وأقنعت مؤسسة "بكري" الداي بأنه ليس بمقدورها تسديد ديونها إتجاهه إلا إذا ربط المسألتين معا في مساعيه لدى الحكومة الفرنسية، وبهذا أخذت مسألة تسوية الديون بعدا دوليا ، وهذا ما جعل الداي

¹ محمد شريف ساحلي ، تخلص التاريخ من الإستعمار، تر: محمد هناد، منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال، الجزائر، د.ط، 2002، ص 72.

² العربي الزبيري، التجارة الخارجية ، المرجع السابق، ص 268.

³ نفسه ، ص 270.

"حسين" يلمح عن هذا الموضوع في عدة مناسبات عندما كان يستقبل القنصل "جانيون سانت أندري" وكان ذلك سنة 1797 م ، غير أن هذه المسألة لم تجد فرنسا حلا لها ¹. إلا أن المسألة لم تسوى و إستمر في إرسال شحنات من القمح إلى مرسيليا وتموين الجيش الفرنسي في إيطاليا ²، و أن هذا الإحتكار وصفقات القمح التي عقدتها مع فرنسا كانت في كثير من الأحيان تتحول إلى تخزين وإمساك حقيقي مثير للمجاعة في وقت القحط ، كما ساهموا في إضعاف البحرية من ناحية التجديد وتعويض خسائرها لأنهم سيطروا على تجارة الخشب ³، وبتماطل فرنسا في تسديد الديون قرر الداوي أن يتولى المسألة بنفسه، "ففي أول رسالة للمديرية التنفيذية في شهر جوان 1798م طرح هذا الموضوع ضمن المسائل الأخرى التي إعتبرها ذات أهمية لضمان السير الهائل للعلاقات بين البلدين" "إنه لمن الضروري أن يسدد "لبكري" و"بوشناق" المبلغ المستحق لهما منذ وقت طويل ثمن المواد المعاشية التي زود بها الجمهورية، والتي كانت في أشد الحاجة إليها وأثناء الظرف الصعب الذي مرت به، حيث لم يكن يوجد سوى عدد قليل من الخواص الذين كانت لهم الشجاعة والإرادة لتقديم مثل التسبيقات في تلك الفترة ولم يكن بإمكانهم ذلك لولا التشجيع والحماية التي أضفيها عليهم وهو ما جعلهم يقبلون المخاطرة والإنتظار كل هذا الوقت ⁴، رغم هذا الإلحاح إلا أن فرنسا لم تعطي أدنى إهتمام لهذا الموضوع ، ونجد أن "تاليران" لم يتوانا في بذل جهوده لكي يتم إعتبار تسديد الديون كالإلتزام من فرنسا إتجاه الإيالة ، ففي سنة 1800م وبالرغم من تزايد ديون الجزائريين ب خمسة ملايين كان يدعو زميله في المالية إلى أن يبين " أن الوضعية الحالية لعلاقتنا مع الإيالة تتطلب منا أن نساعد اليهود بأفضل صورة "، وظل "تاليران" طوال هذه القضية

¹ محفوظ قداش ، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830 1954، تر: محمد المعراجي، طبع المؤسسة الوطنية، الجزائر، 2008 ص 9 .

² جمال قنان ،العلاقات الفرنسية الجزائرية ، المرجع السابق، ص 286.

³ محمد شريف الساحلي، المرجع السابق، ص 72.

⁴ جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية ،المرجع السابق، ص 286.

على علاقة مميزة مع "بكري" الذي كتب : " لو أن الأعرج لم يكن في قبضتي لما كان لدي ما أستند عليه " ¹.

وفي سنة 1802م جدد "الداي مصطفى" المطالبة بتسديد ديون "بكري" و"بوشناق" في رسالة بعثها إلى "نابليون" جاء فيها : "هلا أعطيتكم الأوامر بدفع ما تدينه حكومتكم به "لبكري" و"بوشناق" فجزء من ذلك المال يعود لي ، وإنني في انتظار أن يلبي طلبي ، كما وعدني بذلك قنصلكم "ديبوتانفيل" " ².

"ومن المعلوم أن مبلغ الدين كان 9.42.992 فرنك دون حساب الفائدة، وأن حوالي أربعة ملايين منها كانت قد ضيقت وسدد هذا المبلغ بواسطة دفع أعطت مردودا لم يتجاوز مليون ومائة ألف فرنك ، وأن التجارين طالبا بمراجعة العملية وتمكينهما من حقهما في تسوية عادلة، وهذا الإعتراض الذي إقتنع القنصل "تانفيل" نفسه، وترجى حكومته بمراجعة هذه المسألة ، وقد تبين فيما بعد أن التجارين لم يحملا على أي ترضية في هذا الخصوص" ³.

إحتدم الصدام بسبب مشكل الديون ولذلك تقرر تشكيل لجنة مالية في باريس لتسوية هذا الخلاف إنتهت في تقريرها إلى إنزال المبلغ من 24 مليون نحو 7 ملايين فرنك ، واضطر الداي إلى الموافقة على هذا التعديل، على أمل أن تقوم فرنسا بتسديد ما عليها من ديون دون مبالطة ⁴، لذلك تراكم الدين فوصل إلى ثمانية ملايين فرنك ، لكن القنصلية لم تسمح إلا بدفع نصف هذا المبلغ ، ولم تنفذ الخزينة الفرنسية أمر الدفع واستمر الوضع على ما هو عليه طوال عهد الإمبراطورية ، لأن "نابليون" يرفض تسديد أي دين ما لم

¹ بيار بيان ، سطو على مدينة الجزائر (تحقيق في عملية نهب جويلية 1830)، منشورات الشهاب ، الجزائر، دط، 2013، ص 28.

² نفسه، ص 28.

³ جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية، المرجع السابق، ص 303.

⁴ صلاح العقاد ، المرجع السابق، ص 80.

يجبر بالقوة على ذلك، وفي سنة 1819م طالب اليهوديان فرنسا دفع المبلغ الذي إرتفع إلى 24 مليون فرنك كثمن للقمح الجزائري¹.

من خلال هذا يمكن القول أن فرنسا تتماطل وتتخذ طرق ملتوية وتتحجج بحجج واهية ليست منطقية من أجل تأجيل مدة الدفع ، أو أنها لم تكن ترغب في التسديد أصلا. ففي التقرير النهائي الذي أعدته اللجنة أواخر فيفري 1819م قدمت فيه مكونات هذا الدين والتي تتمثل في تزويد الحكومة الفرنسية منذ 1794م بالحبوب وقيمة السفن وشحناتها التي إستولت عليها سواء البحرية الرسمية أو القراصنة الفرنسيين، إضافة إلى قروض المالية التي منحها التجار لفرنسا خلال تلك السنوات المخرجة التي عاشتها ، إلى جانب الفوائد المستحقة من هذه الديون ولمدة تزيد عن عشرين سنة، ولقد أكدت هذه اللجنة بأنه لا يمكن رفض مطلب التجارين وذلك من خلال المعاهدات القائمة بين البلدين وهذا ما نص عليه البند 13 من معاهدة 27 ديسمبر 1801م والذي يلزم بتسديد هذه الديون²، كما ذكرنا سابقا أن المبلغ النهائي كانت قيمته سبعة ملايين فرنك وكانت لشركة "بكري" و"بوشناق" نحو بعض الخواص بالجزائر 2.500.000 فرنك فتقرر أن تبقى فرنسا تحت يدها هذه المبالغ إلى أن تقرر مقدار ما يخص الخزينة الجزائرية ، فنص الاتفاق بأن تدفع الحكومة الفرنسية "لبكري" و"بوشناق" عن طريق مفوضهما السيد "بليفيل" ، حيث وضع بكري أمام أمر الواقع إما قبول التسوية على هذا الأساس أو اللجوء إلى المحاكم ، وفي هذه الحالة فإن حظه في الحصول على الترضية يصبح شبه مستحيل وهذا راجع لصعوبة جمع الوثائق نظرا لقدم المسألة وتباعد الأماكن، وفي الأخير وافق "بكري" عن الأمر في 28- أكتوبر - 1819م³.

¹ عثمان سعدي ، المرجع السابق، ص 443.

² جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية ،المرجع السابق، ص 308.

³ جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية ،المرجع السابق ، ص 308.

حيث نص هذا الاتفاق بأن تدفع سبع ملايين موزعة على إثنا عشر دفعة مبلغ كل منها حوالي ستمائة ألف فرنك تدفع كل خمسة أيام ابتداء من 1 مارس 1820م¹ كما ينص من جهة أخرى أن تحتفظ الخزينة بالمبالغ التي حولها إعتراضات وإدعاءات إلى أن يحصل السيد "بليفيل" على حق رفع اليد من المحاكم أو على إثر إتفاق بين التاجرين والمدعين ، إلا أن العمل بالدفع تجمد تنفيذه إلى غاية أفريل بسبب مسألة التصريح الذي طلبته الحكومة الفرنسية من الحكومة الجزائرية ، وحصلت فرنسا على الترضية حول هذه المسألة في نهاية شهر أفريل فكان من المنطقي أن تبدأ في دفع أقساط الدين المنصوص عليها في بداية جوان 1820م لتواصل عملية الدفع على امتداد شهرين في حين تنتهي مع بداية خريف 1820م، "غير أن هذا الأمر لم يحدث² بشكل كلي لأن فرنسا دفعت عدة أقساط إلى "بكري" و"بوشناق" دون أن تدفع شيء إلى خزينة الجزائر، وهذا الإجراء الذي عمدت إليه فرنسا كان من الممكن أن يكون عاديا لو أن الأمر تعلق بدين عادي لكن الأمر خلاف ذلك لأنه يتعلق بدين بين دولتين وأن المبالغ التي أقرضت إلى فرنسا ونصيبا هاما من القمح التي دفعت من خزينة الجزائر ، ويضاف إلى ذلك أن كلا من "بكري" و"بوشناق" ديون للداي وللخزينة وباختصار فإن هناك مبالغ ترجع قانونيا وواقعا للخزينة الجزائرية، لكن فرنسا دفعتها لبكري و"بوشناق"³، ففر بكري بعد تسلمه للمبلغ وتجنس "بوشناق" بجنسية فرنسية ، واستقر بها فتسلم الباشا من عائلة "بكري" و"بوشناق" على اعتراف بأن المبلغ الذي تحت يد فرنسا يجب أن يرجع إلى خزينة فرنسا وأن الخواص اللذين يتبعونه رأسا ، وأرسل "الداي حسين" في هذا الأمر وطلب منه إرسال ذلك المال لخزينة الجزائر⁴، لكن مضت عدة شهور دون أن تحرك الحكومة الفرنسية ساكنا لإنهاء المشكلة، الأمر الذي دفع بوزير البحرية والخارجية إلى توجيه رسالة إلى وزير خارجية

¹ نفسه، ص 308.

² نفسه، ص ص 308-312.

³ مبارك الملي، المرجع السابق، ص 251.

⁴ أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا المرجع السابق ، ص 76.

فرنسا حول هذا الموضوع، والذي أكد فيه على ضرورة تحمل فرنسا مسؤولية هذا الأمر إلا أن فرنسا إعتمدت طريقة جديدة في التعامل مع الحكومة الجزائرية والتي تمثلت في عدم الرد على مراسلاتها بهذا الشأن، فلم ترسل أي جواب على مطالب الدفع التي قدمها "الداي حسين" عند استقباله "للنصل دوفال" في ماي 1824م.¹

نستنتج من خلال ما سبق أن فرنسا لم تكن تتوي تسديد ما عليها من ديون وأرادت الإحتفاظ بتلك الأموال كورقة ضغط على الجزائر ، من أجل تحقيق أهداف غير ظاهرة للعيان حيث كانت تتسجها في الخفاء، وكانت تتحين الفرصة لقطع علاقاتها مع الجزائر ، " ففي الوقت الذي بقيت فيه مسألة ديون "بكري" تتخبط في الشرك الذي نصب لها ، وازدادت تعقيد أكثر بفرض السيد "بليفيل" دفع المبلغ الذي إستلمه من الخزينة الفرنسية لمن فرضه ، ولقد إستلم هذا الأخير حتى الآن مبلغ أربعة ملايين ونصف مليون فرنك من الخزينة الفرنسية التي إحتفظت بمبلغ مليونين والنصف المتبقية ، وهو ما دفع الداوي إلى مكاتبة وزير الخارجية الفرنسي ليطلب منه إفتكاك هذه الأموال من "بليفيل" بحضور موكله في باريس الذي وصفه بأنه يعرف جميع خيوط المسألة وإرسال المبلغ كاملا إلى الجزائر "2، إلا أن هذه الرسالة لم يتم الرد عليها مثل سابقتها إذ لم يحصل الداوي على رد عليها حتى حدوث القطيعة بين البلدين عندما قررت فرنسا إعلان الحصار على الجزائر في شهر جوان 1827³.

يرى "خليفة إبراهيم حماش" أن قضية الديون التي تورطت فيها جراء إستردادها القمح من شركة "بكري" و"بوشناق" لمواجهة الأزمة التي تعرضت لها في القرن 18 من أخطر القضايا التي أثرت في العلاقات بين فرنسا والجزائر في أواخر العهد العثماني⁴.

¹ جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية، المرجع السابق ص ص 315-316.

² جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية، المرجع السابق، ص 316.

³ جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية ، المرجع السابق، ص 316.

⁴ خليفة ابراهيم حماش ، العلاقات بين اىالة الجزائر والباب العالي 1798 - ، 1830، رسالة لنيل شهادة الماجيستر تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الاسكندرية، 1988، ص 232 224.

وبالفعل فقد كانت مشكلة الديون من بين أهم الأسباب التي عكرت صفو العلاقات بين البلدين وفي المرحلة الأخيرة منها أدت إلى قطع العلاقات بصفة نهائية وإعلان الحصار على الجزائر .

ولقد جاء على لسان الحاخامات إيزن بيت : " لقد تم تخليد إسم عائلة "بكري" لأن خلافاتهم مع فرنسا هي سبب إحتلال الجزائر عام 1830م "، كما عبر "ميشال هابارت" عن مدى تأثير مسألة الديون على السير الحسن للعلاقات الجزائرية الفرنسية في قوله : " إن مبررات إعلان الحرب من قبل المتطرفين بفرنسا وبمدينة الجزائر من قبل رجل المال يعقوب بكري "¹.

المبحث الثاني : أهم الحملات الفرنسية على الجزائر

مثما بدأت العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا مبكرا ، بدأت كذلك الحملات العدوانية ، بشكل مبكر وظلت موازية لها إلى غاية الغارة الأخيرة وهـ> راجع إلى بداية الحكم المطلق بفرنسا الذي تولاه لويس الرابع عشر وأعلن فيه العداء الصريح ضد الجزائر ، فقد حاول القضاء عليها وتحطيمها عن طريق الحملات البحرية ، والتدخل المسلح ، بحيث شهدت الجزائر عدة حملات نذكر من بينها :

٧ حملة الأميرال دوكين سنة 1683م :

غادر "دوكين" ميناء طولون في 6 ماي 1683 م متجها نحو الجزائر ، وكان القصف عنيفا جدا ، ففي البداية رفض الداوي "بابا حسن" الإستسلام ، وبتزايد الخسائر في الأرواح والممتلكات أضطر إلى قبول فتح باب التفاوض ² ، حيث قدم "دوكين" شروط محققة كان من بينها :

ü المطالبة بكل الأسرى الفرنسيين .

ü إلزام الجزائر بدفع نفقات وتكاليف الحملة .

¹ كمال بن صحرابي، المرجع السابق، ص 222.

² بلقاسم قرياش ، المرجع السابق ،ص 71.

أكد "دوكين" على رفض إدراج أي بند يتعلق بإطلاق سراح الجزائريين وطالب بإرسال بعثه من أجل ذلك¹، واستمرت المفاوضات بين الطرفين مدة أسبوعين كاملين ، حيث طلب الداوي مزيدا من الوقت ليتمكن من جمع ضريبة الحرب² .

فاستمر "دوكين" بإلقاء قنابله على المدينة ، يوم 26 أوت حيث رماها بست وثمانين قذيفة ، وكثف الرمي ليلة 31 أوت ألقى على المدينة 114 قذيفة جديدة لم تحدث كلها إلا خسائر قليلة ، ونظرا لأنه كان يرمي من بعيد خشية أن تصبه مدافع القلاع ولم يحصل أي تفاهم بين الجانبين فاستمرت أعمال الرمي ودفاع الحصون الجزائرية إلى يوم 12 سبتمبر ، حيث رأى الأسطول الفرنسي أنه لا جدوى من وراء هذه العملية فرجع إلى فرنسا خائبا ، إضافة إلى رداءة الجو³ .

رغم القصف الذي تعرضت له مدينة الجزائر إلا أنها لم تدمر مثلما كان يرغب دوكين حيث الحق بها أضرار كبيرة إذا ما قوزت بحملة 1682م و تمثلت الخسائر التي لحقت بالجزائر في :

ü استشهاد ألف شخص.

ü تهديم منزل ، وجامعين ، إحراق ثلاث سفن .

بينما قدرت خسائر فرنسا ب أكثر من خمسة وعشرين مليون فرنك فرنسي⁴ .

بعد كل هذه الخسائر يأسست فرنسا من الحرب لأنها لم تجن ما كانت تطمح إليه ، فاضطرت للتفاوض مع الجزائريين ، وأوكلت تلك المهمة إلى "دي تريفييل" "de terrville" الذي تمكن من إبرام صلح مع الجزائر في 25 أفريل 1684م، كما أشرنا سابقا .

v حملة كيرسي سنة 1791 م kercy :

كان قنصل فرنسا بالجزائر حيث قدم مشروعا إلى حكومته يدعوها فيه إلى إرسال حملة برية على الجزائر تنزل يشبه جزيرة سيدي فرج ، ثم تتقدم إلى احتلال المدينة والقضاء على حكومة الداوي وإقامة حكومة جديدة تستجيب لمصالح فرنسا، لكن حكومة

¹ عائشة غطاس ، المرجع السابق ، ص 89.

² عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق ، ص 424.

³ أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 - 1792، دار البصائر ، الجزائر، ط1، 2007 ، ص 398.

⁴ عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق، ص 425.

فرنسا أعرضت عن هذه الفكرة وتمسكت بسياستها السلمية التقليدية ،بسبب إحتياجاتها الملحة إلى منتجات الجزائر لتموين الشعب الفرنسي والقوات المسلحة¹.

غير أن هذا الوضع لم يدم طويلا فسرعان ما استرجعت فرنسا أنفاسها وعادت من جديد إلى طرح مطامعها في الإستيلاء على الجزائر ، وهذا ما أدى بالحكومة الفرنسية أن تكلف الضابط "بوتان" بإعداد تقرير شامل حول مدينه وذلك في سنة 1801 م .

٧ مشروع بوتان 1808 م :

صمم نابليون على التخلص من الحكومات البربرية في إفريقيا الشمالية² ،ففي سنة 1808م أرسل "نابليون" المهندس بوتان بمهمة تجسس يطلع فيها على أحوال الجزائر الطبيعية والاجتماعية والعسكرية ،غير أن هذه المهمة كانت صعبة وخطيرة على المهندس "بوتان" ، إلا أن القنصل ، "ديبو تانفيل " سهلها له ، حيث أقام "بوتان" بالجزائر بين 24 ماي إلى 17 أوت 1808م³.

وبعد عودته من هذه البعثة كان مصير تقريره هو محفوظات الوزارة الحربية ، إلا أنه من الضروري الإشارة إلى محتوى هذا التقرير والذي تضمن معلومات هامة عن المدن والقلاع والمدافع ، وقدرت قوات الإيالة في حالة السلم ب 50 ألف جندي يمكن أن يزداد عددها إلى 60 ألف جندي عند وقوع الحرب ، كما دعى إلى إنشاء حكومة في الجهة المواجهة لفرنسا من ناحية المتوسط ، وإرسال المزارعين الأوروبيين لتعميرها ،وأوصى بضرورة القضاء على حكومة الداوي لصالح فرنسا⁴.

ونلاحظ أن "بوتان" لم يوافق على الفكرة الشائعة المتمثلة في إثارة شعور العرب ضد حكامهم من الترك ، مستدلا بالتضامن الذي تجلى أمام الحملة الإسبانية 1775م ، و أشار إلى أنه من الممكن إستمالة رجال الطرق الصوفية⁵ ، و اقترح "بوتان " أن يكون

¹ يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ،المرجع السابق، ص 104.

² عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق، ص 597.

بوتان : ولد في جانفي 1772م في المنزل العائلي الكائن في بلدة لوروبوترو على بعد 15 كم من مدينة نانت ، زاول دراسات الهندسة وقطع مسارا باهرا كضابط قلده نابليون بونابرت سنة 1808 بمهمة التجسس على الجزائر .ينظر: عفرون محرز ، المرجع السابق، ص 317 .

³ عبد الجليل التميمي ، بحوث وثائق في التاريخ المغربي ، الدار التونسية للنشر، ط1، 1972م، ص 235.

⁴ صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص 46.

⁵ نفسه، ص 46

إنزال الحملة بمنطقة "سيدي فرج" (والتي تقع على بعد 27 كم غرب الجزائر) ، حيث أشار إلى أنه لا توجد في هذا المكان مرتفعات ، واقتراح إحتلال حصن الإمبراطور ، لأنه بذلك سيضمن السيطرة على كل التحصينات الأخرى التي تحمي المدينة .¹

مما يمكننا قوله في هذا الصدد أن فرنسا كانت مهتمة بالجزائر اهتماما كبيرا ، هذا ما جعل نابليون يرسل إليها جواسيس للإستطلاع على كل ما يجري فيها، واكتشاف أهم الثغور من أجل الدخول عبرها ، وفعلا هذا ما جسده تقرير "بوتان" عندما سارت عليه حملة 1830م، التي كللت بالنجاح للاحتلال الجزائر .

٧ الحصار البحري على الجزائر (1827 - 1830م) :

قررت فرنسا فرض حصار بحري على الجزائر قبل حادثة المروحة بخمسة أشهر حسب مذكرة تعود إلى 7 ديسمبر 1826م، وصرحت فرنسا من خلالها عن نيتها المبيتة في فرض حصار على السواحل الجزائرية² ، غير أنها تركت لقنصلها "دوفال" حرية التحرك والبحث عن ذريعة تكون مناسبة لتبرير هذا العمل العسكري ، فكانت حادثة المروحة السبب المباشر لتنفيذ هذه العملية التي أحكم "دوفال" نسجها وأتقن تنفيذها³ .

"وفي 29 أفريل من عام 1827م على الساعة الواحدة بعد منتصف النهار، تقدم كالعادة كل القناصل الأجانب وكان من بينهم قنصل فرنسا "دوفال" لتهنئة الداوي بعيد الفطر ، و دار بينهما حوار باللغة التركية مباشرة"⁴، ودار الحوار أساسا حول العلاقات الدبلوماسية بين البلدين حيث طلب القنصل "دوفال" من الداوي إعادة المراكب البابوية إلى الفاتيكان لاعتبار فرنسا نفسها الإبن الأكبر للكنيسة ، فلم يجب الداوي طلبه وسأله عن الرسائل التي بعثها ولم يتلق الرد عليها ، خاصة تلك المتعلقة بديون بكري⁵، غير أن جواب القنصل "دوفال" "كان في منتهى الوقاحة إذ جاء كالتالي " إن حكومتي لا تتنازل لإجابة رجل مثلك"⁶، وفي هذا الصدد قال "حمدان بن عثمان خوجة": بأن القنصل دوفال لم يكن يتقن اللغة

¹ محمد خير فارس ، المرجع السابق، ص 140.

² جمال قنان ، قضايا ودراسات، المرجع السابق، ص 60.

³ عبد الرحمان نواصر ، مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكاساتها على علاقات البلدين ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، التاريخ الحديث ، جامعة غرداية 2010.2011، ص 136.

⁴ محمد زروال، المرجع السابق، ص 83.

⁵ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 53.

⁶ حمدان بن عثمان خوجة ،المصدر السابق ، ص 142.

التركية جيدا ، غير أن هذا لا يعطيه الحق في أن يتناول في الكلام ويجب بأسلوب وقح لا سيما إذا كان الأمر مع حاكم إيالة، ومما لا شك فيه أن الداوي كان يمكن أن يعذر السيد "دوفال" لو وقع هذا في مناسبة أخرى ، ولكن هذه الكلمات الفضي وأمام الملاء جعلت الداوي لا يتمالك نفسه من الغضب وضربه بالمروحة ضربة واحدة¹ وهذا أيضا ما أكدته "وليام سبنسر" في كتابه " الجزائر في عهد رياس البحر " سيمون بفايفر" في مذكراته .

أما "أبو القاسم سعد الله" فيقول : " وقد إدعى "دوفال" في تقريره إلى حكومته بأنه ضربه ثلاث مرات ، أما الداوي فقد قال بأنه ضربه بسبب إهانته له ، وتذهب رواية أخرى إلى القول أن الضرب لم يقع أصلا ولكن وقع التهديد بالضرب"² .

نستشف من خلال ما سبق أن القنصل "دوفال" كان يرغب في افتعال الحادثة والعمل على إعطائها تفسيرا أكثر مما تستحقه، وخاصة أنه كان يتلقى الدعم من حكومته التي تعمل على تحريضه ضد "الداوي حسين" .

وبهذه الحادثة إعتبرت فرنسا الموقف الذي قام به الداوي أمام كل القناصل والديوان هو إهانة لقنصلها "دوفال" ولعنة لشخص وشرف فرنسا .

لم يكن "الداوي حسين" يتوقع أن يترتب عن هذه الحادثة كل هذا ، خاصة بوصول قائد السرية "كولي collet" في 12 جوان 1827م ،الذي قدم على رأس أسطول يتكون من أربع بوارج حربية ، وقدم القائد كولي إنذار إلى الداوي عن طريق قنصل سردينيا طالب فيه بما يلي :³

1/ " أن يتوجه وفد يتكون من وكيل الحرج ووزير البحرية والشؤون الخارجية ، والقائد العام البحرية وقائد الميناء ، صحبة أربعة خوجات من قصر الداوي ، ويجب أن يتوجه الداوي إلى الباخرة الفرنسية ، ويقدم وكيل الحرج علانية وبإسم الداوي إعتذاراته إلى القنصل العام " .

2/ " أن يرفع العلم الفرنسي فوق حصون مدنية الجزائر، والتوجه له بالتحية بمائة طلقة مدفعية جزائرية "⁴ .

¹ نفسه ،ص 142.

² أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق، ص 29 .

³ شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص 53.

⁴ مبارك بن محمد الهيلالي الميلي ، المرجع السابق ،ص 293.

3/ إصدار تعهد بالإمتناع نهائيا عن القرصنة ، والإتاوات مع إعادة المسلوبات من السفن البابوية .

4/ تخلي الداوي عما له من ديون سابقة .

وإن لم يستجيب الداوي لهذه المطالب في ظرف أربع وعشرين ساعة القادمة سنبدأ الحرب ضد الجزائر¹.

على ما يبدو أن الكومندان "كولي" كان متأكد من قراره ، وظن بأن الداوي سيستجيب لمطالبه التي قدمها ، وهذا ما جعل القنصل "دوفال" يمكث على متن سفينة كولي والبقاء على أهبة الإستعداد للإستجابة لأول نداء يكون من الداوي²، من أجل تقديم إعتذاره على ما بدى منه إتجاه القنصل "دوفال" غير أن هذا الأمر لم يحدث ،لأن "الداوي حسين" رفض تلك المطالب فيذكر "صلاح العقاد" الجواب الذي قدمه "الداوي" قائلا : " لم يبق إلا أن يطلبوا مني زوجتي"³.

ومن هذا الجواب تيقنت فرنسا بأن الداوي لن يرضخ إلى مطالبها مهما كلفه الثمن وهكذا فرض الأسطول الفرنسي حصارا على السواحل الجزائرية والذي دام ثلاث سنوات ابتداء من 16 جوان 1827م إلى 13 جوان 1830م ،بحيث تضاعف عدد القطع البحرية فوصلت إلى 12 قطعة ، وتم إنشاء دورية بحرية مكونة من ست قطع تجوب المتوسط ، وخصصت أربع قطع لمراقبة الطرق التجارية ، حيث قدر عدد قطع الأسطول الفرنسي 50 قطعة بحرية⁴.

في هذه الظروف الصعبة التي تعيشها الجزائر،أمر "الداوي حسين" تدمير الوكالتين التجاريتين ببونة والقالة⁵، واصل "كولي" حصار المدينة حتى سبتمبر 1828م، ثم ألم به مرض فاضطر إلى الرحيل وخلفه الضابط "لابروتونييز la bretanniere" ليوصل الحصار ، وهنا حاولت أربعة بواخر جزائرية أن تفك الحصار فلم توفق ، وفي 18 جوان

¹ صلاح العقاد ، المرجع السابق ،ص 82.

² شارك أندري جوليان ، المرجع السابق ،ص 56.

³ صلاح العقاد ، المرجع السابق ،ص 82.

⁴ عثمان سعدي ، المرجع السابق، ص 445.

⁵ شارل أندري جوليان ، المرجع السابق، ص 56.

1829م اصطدمت مجموعة من المراكب الجزائرية بعدد من المراكب الفرنسية قرب رأس جنات فقد الفرنسيون خلالها ثلاثة زوارق و 25 شخص¹.

ولما طال أمد الحصار ولم يحقق الطرف الفرنسي منه أية نتيجة تذكر عاد "لابروتونييز" إلى فرنسا ، واقترح وزير البحرية "هايدودونوفيل hydede neuville"²، أن يكف من يفاوض الداوي لعله يقبل الصلح ، فاستحسن الوزير الفكرة ، وكلف "أندريا دونورسيا andrea denerciat" بالمهمة وعندما وصل إلى الجزائر في يوم 23 جويلية 1829م، رفض الداوي أن يستقبله في البداية ثم وافق بحضور "لا برو تونيز" وكاتبه "غابري gaprie" والمترجم "بيانشي bianchi" وكاتب الملك ، دام الاجتماع حوالي ساعتين إلا أن الداوي رفض إعلان هدنة وإرسال وقد إلى فرنسا للإعتذار³، و ظل الداوي مصرا في رأيه أو على الأقل أصر في الاحتفاظ بكرامته⁴.

ومما زاد الوضع تعقيدا بين الطرفين عند عودة هذا الوفد إلى فرنسا ، تعرضت السفينة إلى طلقات المدفعية عندما اقتربت من الساحل الذي كانت تتمركز فيه الحصون الحربية الجزائرية ، فأطلقت عليها النيران من أجل أن تبتعد ، وفي هذا يقول "حمدان بن عثمان خوجة" : " وفيما يخص طلقات المدفعية المشؤومة التي وجهت للسفينة " البروفانس " والتي ضاعفت من الأسباب وجعلت فرنسا تقرر الحرب وعجلت بؤسنا وخرابنا ، فإنني أستطيع التأكيد بأن حسين باشا لم يكن على علم بها ولكننا نقول باللغة العربية إن السيد مسؤول عن أخطاء عبده"⁵.

وبعد أن بلغت الأمور إلى هذا الحد من التدهور ، قررت فرنسا أن تعلن الحرب بصفة نهائية عن الجزائر فقامت بإخراج تقرير "بوتان" وخرائطه ، وقرروا أن يكون الإنزال بسيدي فرج⁶.

وأسفر الحصار نتائج متعددة في كثير من الميادين و أهمها :

¹ يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص 193.

² نفسه، ص 193.

³ يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص 132.

⁴ صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص 82.

⁵ حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص 146.

⁶ يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص 132.

- أنه فرض على الإيالة بأكملها جوا من التوتر وساهم في تجميد الإقتصاد الجزائري بوجه عام.

- عطل نشاط الموانئ الجزائرية وأوقف العمليات البحرية التي كانت تتم فيها.

- حرم مقاطعات الجنوب الفرنسي من أكثر من مليون قنطار من الحبوب وبعض المواد الأولية.

- فتح للمسيحية بابا واسعا تدخل منه إلى إفريقيا لتحارب الإسلام هناك.¹

على ما يبدو أن الحصار الذي فرضته فرنسا على الجزائر لم يعطي النتائج التي كانت ترجو تحقيقها ، غير أنه أضعف من قوة الجزائر التي لم تستطع فك هذا الحصار ، ومكن فرنسا من إرسال حملة والتي مثلت نهاية إيالة الجزائر التي كانت ولمدة طويلة تملك سطوة تهابها كل الدول في المتوسط .

وعلى إثر فشل مهمة "لابروتونييز" تأكدت الحكومة الفرنسية بأنه لا أمل لها في إرغام الجزائر على قبول مطالبها بدون الإضطرار إلى إعلان وتجهيز حملة عسكرية ، ضدها خاصة وأن محاولاتها في إقحام والي مصر "محمد علي" في الحملة قد فشلت ، فلم تجد سبيلا في النهاية إلا ركوب هذه المغامرة مهما كانت النتيجة ، فمكانتها وسمعتها إلى جانب مصالحها أقرت عليها إعلان الحرب على الجزائر حيث أصبح هذا الأمر خيارا لا ثاني له ².

٧ الحملة الفرنسية على الجزائر 1830:

بعد أن فشل الحصار الفرنسي على الجزائر من تحقيق النتائج المرغوب فيها ، قررت فرنسا تجهيز حملة ضد الجزائر ، خاصة وأن الظروف كانت ملائمة لذلك سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي ، كان ذلك في أوساط 1830م حيث نفذت ما كانت تنويه ضد الجزائر ، بإدعائها منع إعتداء القراصنة المسلمين على مراكبها التجارية ، بل

¹ محمد العربي الزبيري ، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر، د ط ، 1975، ص ص 116 117.

² جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية ، المرجع السابق، ص 380.

الحقيقة غير ذلك فهي كانت ترغب في تكوين مركز حربي بشمال إفريقيا حتى لا تنفرد إنجلترا بالسيادة على المتوسط وذلك لاحتلالها معاقل "جبل الطارق وجزيرة مالطا"¹.

وذكر "أبو القاسم سعد الله" فيما يخص الحملة : "بأنها حملة عسكرية تأديبية إنتقامية تؤدي دورها تم تعود من حيث أنت سحابة ثم تنقشع ولكن الحملة إستقرت قرنا وربعا وكانت تبدو لأصحابها بلا نهاية والسحابة تحولت إلى ظلمات بعضها فوق بعض"².

وهذا ما عبر عنه "محمد العربي الزبيري" في مذكرات "أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة" في قوله : "لم تكن الحملة الفرنسية ضد الجزائر آنية ، ولم يكن الهدف منها تأديب الداي أو الثأر للكرامة كما تعود أن يكتب معظم المؤرخين الفرنسيين ولكنها فكرة اختمرت طويلا في أذهان ملوك وأباطرة فرنسا..."³

من خلال كل هذه المخططات التي قدمها المبعوثين الفرنسيين ، والتي كانت تؤكد على إرسال جيش من ناحية البحر ويكون من منطقة سيدي فرج ، مما يدل أن العملية مدروسة بطريقة محكمة وممتازة.

كما نجد أن الكونت "دي مونتوزي" بعث إلى "نابليون بونابرت" مذكرة يشرح فيها مزايا احتلال الجزائر ، وهي مزايا يلخصها فيما يلي :

مضاعفة الحضارة والإنتاج .
القضاء على وكر من أوكار التخريب والظلم .
إيجاد قوة جديدة⁴.

ومن خلال هذا كله يبدو أن هذه الحملة التي جردتها فرنسا ضد الجزائر هي فكرة موجودة منذ أمد طويل، حيث كانت تنسج في الخفاء ، وكان زعمائها يتحينون الفرصة للقيام بها ، وهذا ما عبر عنه المؤرخ "أوغسطين رنار" في كتابه الجزائر حيث يقول : "

¹ محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تح : إحسان حقي ، دار النفائس ، بيروت ، ط1 ، 1981، ص 446.

² أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900) ، ج1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 2005، ص 15.

³ محمد العربي الزبيري ، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، منشورات السهل ، الجزائر ، د ط ، 2009، ص 89.

⁴ مبارك بن محمد الهيلالي الميللي ، المرجع السابق ، ص 280.

إن احتلال الجزائر هي ثمرة ثلاثة قرون من جهود متواصلة باستمرارية جديرة بالتقدير¹.

ففي 30 جانفي 1830م إتخذ مجلس الوزراء في باريس القرار بإرسال حملة برية من أجل فرض شروط فرنسا على الجزائر ، إذ استمر الداي في رفضه لمطالبها ، واتخذ هذا القرار دون أن يستقر الرأي على هدف واضح من الحملة فيما كانت مؤقتة لمجرد إرغام الداي على قبول المطالب الفرنسية أم هي حملة لاحتلال الجزائر كاملة .²

"غير أن في 7 جانفي 1830 أعلنت فرنسا التعبئة في الجيش ، وبدأت الإستعدادات لتجهيز الحملة وفي 12 مارس بعثت فرنسا بمذكرة للحكومات الأوروبية تخبرها بالقرار الذي إتخذته ، مرفقة ذلك بتوضيح المبررات المختلفة التي دفعتها لاتخاذ هذا القرار"³ ، وفي هذه الأثناء أعلن الملك "شارل العاشر"⁴ مرسوما ملكيا يعلن فيه هذه التعبئة ، وفي خطاب العرش صرح " أن الحملة إنتقام للشرف الفرنسي وأنها حملة مسيحية على بلاد المسلمين المتوحشين وأنها خدمة للعالم المسيحي"⁵.

وتكون جيش فرنسا من 37000 رجل ، وأسطولا جرارا 675 سفينة⁶ ، و 91 مدفعا مدفعا و عدد السفن الحربية 103 سفينة ،ونظمت هذه القوات في ثلاث فرق مشاة وكتيبتين من الفرسان وبطاريات من مدفعية الميدان والحصار ، كما نظم الأسطول في ثلاث أساطيل : أسطول سفن القتال التي كلفت بضرب مدفعية السواحل ، وأسطول مؤلف من سفن الإنزال والثالث يتألف من سفن النقل التي تحمل من الذخيرة ما يكفي الجيش لمدة ثلاثة أشهر⁷ ، وأعطوا قيادتهم العليا لوزير الحرب " دي بورمون " وقيادة الأسطول للأميرال "دوبيري"⁸.

¹ الغالي غربي ، المرجع السابق ، ص 66.

² صلاح العتاد ، المرجع السابق ، ص 87.

³ جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 380.

⁴ الملك شارل العاشر : هو آخر ملوك آل بوربون ، تولى عرش فرنسا 1824م إثر وفاة أخيه لويس الثامن عشر ، واستغل حادثة المروحة لتنظيم حملة تأديبية على الجزائر . ينظر : عفرون محرز ، المرجع السابق ، ص 329.

⁵ عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 446.

⁶ أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 16.

⁷ جمال قنان ، دراسات في المقاومة والإستعمار ، المرجع السابق ، ص 25.

⁸ أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 16.

من خلال ما تم ذكره يمكننا القول أن فرنسا قد أعطت هذه الحملة الإهتمام الأكبر والدراسة المفصلة والمطولة ، وأعدت لها جيشا جرارا مسيرا بطريقة محكمة ، كما نجد أنها عينت خيرة ضباطها وجنرالاتها لقيادة هذه الحملة ، وحتى يتم لها النجاح في الإستيلاء على مدينة الجزائر ، ولكن يمكننا إستعراض الأسباب التي تقلدتها فرنسا لشن حملتها ، والتي كانت في ظاهرها إدعاء فرنسا إسترجاع شرفها من خلال هذا الهجوم العنيف .

السبب المباشر :

حادثة المروحة التي جعلت منها فرنسا سببا لشن حملتها على الجزائر فكانت بمثابة حجة لتبرير عملية الغزو، فمن غير المعقول كما قال المترنيخ: " أن تتفق فرنسا أكثر من مليون فرنك وتعرض أربعين ألف جندي للموت من أجل ضربة مروحة"¹، هذا يدل على أن نية فرنسا ليست إسترجاع هيبتها والإنتقام لشرفها إنما رغبتها في استغلال ثروات البلاد ، التي كانت الجزائر تزخر بها ، إضافة إلى أن هناك أسباب أخرى كانت على الأرجح معظمها في الجانب السياسي وهي كالتالي :

1 / رفض الداوي تقديم إجابات مرضية على الحجز والإستيلاء على الباخرة الفرنسية "لافورتون" la fortune في عنابة .

2 / الإجابة التي قدمها الداوي لكلا من أمير البحر البريطاني والفرنسي بأنه سيواصل نظام الإسترقاق ضد رعايا الدول التي لم توقع معاهدات معها² .

وهنا يظهر الداوي تحديه لكل الدول الراضية لعملية الجهاد البحري في البحر الأبيض المتوسط ، والتي تعتبرها إيالة الجزائر دفاعا عن النفس وجهادا لا يمكن الإستغناء عنه لصالح الدول الأوروبية .

3 / قيام الداوي بتهديم الحصون الفرنسية المقامة حول المراكز التجارية الفرنسية وتحديه للقتل الفرنسي أمام الملاء.

¹ أحمد مسعودي ، المرجع السابق ، ص 72.

² أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء ، المرجع السابق ، ص 261.

4/ قيام الداوي ما بين سنتين 1826 1827م بخرق المعاهدات المبرمة مع فرنسا فمثلا تعرض بواخر روما للإصطدام مع الجزائريين رغم أنها كانت تحت رعاية وحماية فرنسا.¹

الأسباب الغير مباشرة :

أولا : قوة فرنسا ماديا وعسكريا سبب تطورها المعرفي والصناعي ، ورغبتها في التوسع واكتساب مناطق النفوذ وهذا ما عبر عنه "محمد بيرم الخامس" قائلا : " أعلم أن الدولة الفرنسية لما ترقى في المعارف والقوات لا سيما في العصر الأخيرة "²، من خلال هذا القول نستنتج أن فرنسا بلغت ذروة من التقدم الصناعي لاسيما فيما يخص المعدة الحربية ، التي جعلتها تتفوق على الجزائر في هذه الحرب .

ثانيا : البحث عن إنتصار خارجي ينسي الشعب الفرنسي هزيمة جيش نابليون في 1814م ، وكذلك فشله في احتلال مصر عندما اضطر للرجوع تحت ضربات الإنجليز ، حتى لا يقوم هذا الجيش بانقلاب داخلي ، كما رغبت فرنسا في التقليل من أثار مؤتمر فيينا التي لم تكن في صالحها ³ .

ثالثا : رغبة فرنسا الرامية في تأسيس إمبراطورية إستعمارية مترامية الأطراف ، لا تبعد كثيرا عن الوطن الأم حتى يسهل عليها الإشراف على شؤونها والدفاع عنها في حالة وجود خطر ⁴ ، وفعلا حققت فرنسا هذه الرغبة لمدة تزيد عن قرن من الزمن .

رابعا : لعب الجانب الإقتصادي المحور الأساسي لاحتلال الجزائر ، ولهذا فقد أسند "جلال يحي" حركة الغزو واحتلال الجزائر إلى أهميتها الإقتصادية، إضافة إلى أهمية منتوجاتها الزراعية الحبوب خاصة ⁵ .

¹ أحمد مسعودي، المرجع السابق، ص 73.

² حفيظة بن دحمان ، رأي محمد بيرم الخامس في الإحتلال الفرنسي للجزائر من خلال كتابه صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ، منشورات وزارة الثقافة ، الجزائر، د ط ، 2013 ، ص 145.

³ أرزقي شويتم ،دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط2، 2006 ، ص 116.

⁴ محمد العربي الزبيري ، مقاومة الجنوب للإحتلال الفرنسي، دار الحكمة،الجزائر، ط2، 2015، ص 12.

⁵ جلال يحي ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية، دط، 1999 ، ص 250.

وفي هذا الصدد يقول الكاتب الفرنسي " أوجين بوري eugène buret " كل خطوة كنا نخطوها في حملتنا على الجزائر ، كنا نعثر فيها على شهادات تدلنا على الإزدهار الذي شهدته الزراعة في الجزائر قديما ...¹

كما رغبت فرنسا من وراء هذا الاحتلال إلى جلب اليد العاملة الرخيصة ، والحصول على المواد الأولية الضرورية للصناعة التي أصبحت فرنسا في أمس الحاجة إليها خاصة بعد أن فقدت الألزاس واللورين وفقدت مستعمراتها في الهند وأمريكا، و رغبت فرنسا في التخلص من ديونها والإستيلاء على خزينة الإيالة وهذا ما أكده "يحي بوعزيز" أن أسباب الحملة هي أسباب إقتصادية محضة لأن ثروة الجزائر وخصوبة أرضها كان أمرا معروفا لدى فرنسا²، و رحبت غرفة مرسيليا بهذه الحملة كما كانت فرنسا طمح من هذا الاحتلال إيجاد أسواق خارجية لتصريف منتوجاتها وهذا ما عبر عنه الجنرال "جيرار gerard" في قوله : " إن أهداف إحتلالنا للجزائر ، تتركز على الحماية المتصلة باستتباب أمن فرنسا وأمن أرباح يفتح باب شاسع لفائض سكاننا ولإنشاء سوق لمنتوجاتنا الصناعية ولتوفير حاجتنا للمنتوجات الأجنبية التي لا تنتجها أراضيها ولا نتزرع في مناخنا "³.

إن أساس الحملة التي قدمت بها فرنسا للجزائر كان أساسها إقتصادي محض، على اعتبار أن الجزائر كانت تزخر بمنتوجات ذات جودة عالمية خاصة الحبوب (القمح) لهذا رغبت فرنسا في السيطرة عليها خصوصا أنها هي الدولة التي كانت تستفيد من هذا الإنتاج أيام ثورتها ، وانطلاقا من هذه الأسباب المقدمة جعلت فرنسا ترسل حملتها التي كانت تعدها منذ شهور .

¹ عدة بن دامة ، الإستيطان والصراع حول ملكية الأرض 1830 1962م ، ج 1 ، منشورات وزارة المجاهدين ، الجزائر ، ط خ ، 2008، ص 35.

² يحي بوعزيز ، السياسة الاستعمارية من خلال حزب الشعب الجزائري (1830-1954) ، دار البصائر، الجزائر ، د.ط ، 2009، ص 75.

³ حسين تريكي ، هذه الجزائر ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، د ط ، 2002 ، ص 41.

ففي 14 جوان 1830م بدأت عمليات الإنزال بمنطقة سيدي فرج ، وفي هذا الصدد يصفهم "الأغا بن عودة المزارى" في قوله : " نزل الفرنسيون بسيدي فرج بأنهم الجراد المنتشر " ¹ ، كما قال عنهم الشاعر الشيخ عبد القادر :

من جهة البحر قاع الناس تخافها **** ببرج الفنار منه كي مسعورين
برم سفانيه وتقدم قدامها **** في سيدي فرج نزل هذا اللعين ².

حيث قام الأسطول بتوجيه أول طلقات مدفعية إلى مئذنة مسجد قرية سيدي فرج فدمرتها ، وفسر ذلك بأن هذه الرسالة موجهة إلى الجزائر وللعالم بأن الغزو هو غزو الصليب للهلال ³ ، وفي هذه الأثناء أرسل "الداي حسين" ينادي في المدائن والضواحي للجهاد ، وسلم قيادة الجيش إلى صهره "يحي أغا"، وحثه على قتال العدو، واشتد القتال بين الطرفين ، والتحقت الجيوش بالأغا من وهران وقسنطينة والتيطري وزحف بهم على معسكر الفرنسيين وألقوا بهم هزيمة نكراء في هذه المرحلة ، ووضعوا راياتهم على الإستحكامات الفرنسية ⁴.

غير أن الفرنسيين أعادوا الكرة على الجيوش الجزائرية وكان ذلك في 25 جوان 1830م حيث أخرجوا الجزائريين من معسكرهم بسطاوالي واستولوا عليه بما فيه من ذخائر ، وتمركزوا به وهنا اشتد طمعهم في الإستيلاء على الجزائر ⁵.

" وكان من أسباب إنهزام الجيش الجزائري إعتماده على السلاح القديم (السيوف) ، في الوقت الذي إعتمد فيه الفرنسيون على جيش منظم ونيران كثيفة وتسليح حديث وطوابير ثابتة تتقدم متلاحقة تصد هجمات الفرسان الجزائريين .

يقول "حمدان خوجة" في كتابه المرأة : " دخل إبراهيم أغا الحرب بلا جيش مدرب ومنظم ، وبدون ذخائر ، وبدون مواد غذائية ، وبدون شعير للخيول ، وبدون أية كفاءة للقيام بالحرب ولقد أعطى لكل جندي طلقتين إثنين فقط " ⁶.

¹ ابن عودة المزارى، المصدر السابق ، ص 79.

² جمال قنان، نصوص سياسية جزائرية في القرن 19 (1830 1914م)، د م ، ج ، الجزائر، د ط ، 2009، ص33.

³ الأمير عبد القادر ، تحفة الجزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، بالمطبعة التجارية عزوزي وجاويش، الإسكندرية ، د ط ، 1903، ص 83.

⁴ الأمير عبد القادر ، المصدر السابق، ص 83.

⁵ عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 448.

⁶ عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص 448.

ونفس الأسباب قدمهم "أرزقي الشويتام" لانهم الجيش الجزائري وهي تتمحور أساسا في :

- 1/ ضعف القدرات العسكرية واعتماد الأسلحة البدائية.
- 2/ ضعف القيادة وذلك سبب "عزل يحي أغا" الذي حل محله "إبراهيم أغا" بحيث لم يكن هذا الأخير على دراية بطريقة تسير الجيش ويفتقد للحنكة.
- 3/ ضعف الإستعداد والتخطيط بحيث تم حشد جميع القوات والعتاد الحربي في منطقة الحراش شرق مدينة الجزائر ، والتي تبعد عن سيدي فرج بحوالي أربعين كيلو متر ¹.
- 4/ الثقة المفرطة التي كانت في أذهان الحكام بأن العاصمة آمنة .
- 5/ سوء تقدير الحكام للظروف الداخلية والإقليمية والدولية والتي تمثلت فيما يلي:
داخلية: توتر العلاقة بين الحاكم والمحكوم.
إقليمية : عدم تلقي الداوي أي دعم ومساعدة من طرف أصدقائه المغاربة .
دوليا : الظروف الدولية لم تكن في صالح الجزائر إذا لم يكن بمقدورها الحصول على الدعم من الدولة العثمانية ².

مما توصلنا إليه من خلال ما ذكرناه بأن الجزائر لم تكن في حالة تسمح لها في أن تخوض أية مواجهة عسكرية ، حيث لم تعمل على تطوير سلاحها ، لم تكن لدى حكامها أية فكرة فيما يخص نزول الحملة الفرنسية بميناء سيدي فرج بحيث يقول "ابن عودي المزارى" هذا البيت الشعري .

نغر الجزائر به حلا البلا **** فإنحل عقد النظم منه وخلا ³

ولما أحس "الداوي حسين" أن المدينة صارت تحت الفرنسيين ، قرر الإتصال بهم فأرسل أحد أمناء سره للتفاوض معهم ، وذلك بعد محاولة من وساطة القنصل البريطاني ، الذي رفضه الفرنسيين ، بحيث وصل مبعوثي الداوي وقابلا الجنرال "دي بورمون" وقدموا له تعويضات سخية مقابل عودة الجيش الفرنسي ⁴.

¹ أرزقي شويتام، دراسات و وثائق ، المرجع السابق ، ص 122.

² أرزقي شويتام ، دراسات و وثائق، المرجع السابق ، ص 123.

³ ابن عودي المزارى ، المصدر السابق ، ص 83.

⁴ عثمان سعدي، المرجع السابق ، ص 450.

" ويروي الفرنسيون أنه عندما رفض طلبهما صاح أحدهما قائلاً : "إذا كان يسرك يا جنيرال أن ترى رأس الداى بين يديك فإنني سأذهب الآن للعودة به إليك في طبق "، لكن الجنرال إكتفى بإعادة شروطه على المبعوثين والمتمثلة في الاستسلام بلا شروط"¹.

ومن هنا وافق "الداى حسين" أن يسلم بنص المعاهدة والتي وقعها مع الجنرال "دي بورمون" القائد العام للجيش الفرنسي 5 جويلية 1830م ،و تضمنت العديد من الشروط وافق عليها "الداى حسين" مرغما إذ لم يجد أي حل آخره يتخذه حيال ذلك ، ومن الشروط التي تضمنتها معاهدة الإستسلام مايلي:

أولاً : "يسلم حصن القصبة وكل الحصون التابعة للجزائر ، وميناء هذه المدينة إلى الجيش الفرنسي صباح اليوم على الساعة العاشرة بتوقيت فرنسا".

ثانياً : "أن يتعهد القائد العام لسمو الداى بترك الحرية له وحياسة كل ثرواته الشخصية"².

ثالثاً : "يستطيع الداى أن ينسحب مع عائلته و ثرواته الشخصية إلى أي مكان يختار الإستقرار فيه ، وما دام مقيم بالجزائر فإنه يكون هو وعائلته تحت حماية القائد العام للجيش الفرنسي ، وستقوم فرقة من الحرس بضمان أمنه وأمن عائلته"³.

رابعاً : "جميع جنود الأتراك والذي يصل عددهم 502 جندي يتمتعون بنفس الحقوق والحماية المتوفرة للداى حسين"⁴.

خامساً : "إبقاء ممارسة الديانة المحمدية حرة ولن يلحق أي مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات ولا بأموالهم ولا تجارتهم"⁵.

" إن القائد العام يتعهد بشرفه على احترام ذلك ، ويكون تبادل هذا الاتفاق قبل الساعة العاشرة من هذا الصباح ، وستدخل القوات الفرنسية بعدها إلى القصبة ، ثم على التوالي على كل حصون المدينة والبحرية "⁶.

¹ نفسه ،ص 450.

² عبد الحميد زوزو، نصوص وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830.1900م ، د م ج ،الجزائر، د.ط، 2010 ، ص 69.

³ جمال فنان، معاهدات الجزائر، المرجع السابق، ص 402.

⁴ بشير كاشة القرقي ، مختصر وقائع أحداث ليل الإحتلال الفرنسي للجزائر 1830 1962 م، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د.ط، 2007 ، ص 17 .

⁵ عبد الحميد زوزو، المرجع السابق ، ص 70.

⁶ جمال قنان ، معاهدات الجزائر مع فرنسا ، المرجع السابق ، ص 402.

ومن خلال هذه المعاهدة التي وقع عليها "الداي حسين" أصبحت الجزائر وبلا منازع واقعة تحت الإحتلال الفرنسي ، و نرى بأن تلك الإتفاقية كانت حيرا على ورق فلم يحض الداوي ولا الشعب الجزائري ولو بوعده واحد قدمه القائد "دي بورمون" ، لأن هذا الأخير ما لبث أن وطأت أقدامه أرض الجزائر حتى بدأ في شن حملاته عليها.

نستنتج من خلال ما تم ذكره أن هذه الحملة لم تكن تأديبية ولم تكن للثأر لشرف فرنسا كما أدعت هذه الأخيرة ، لأنها حملة تمت دراستها وتديرها بشكل محكم ، بحيث كانت فرنسا تتحين الفرصة المناسبة لشنها على الجزائر ، وحشدت لها كل ماله من عدد وعدة ووفرت لها كل الظروف المناسبة لشنها بشكل سمح لها بتحقيق الهدف الذي رسمته منذ أن فكرت في دخول الجزائر ، والذي تمثل أساسا في جعل الجزائر جزء من فرنسا ، كما رغبت في الإستفادة من خيرات البلاد .

وفي هذا الصدد يمكننا الإستشهاد بالأمثلة التي قدمها المؤرخ " مولود قاسم نايت بلقاسم" عن موافق كثيرة كان بإمكان فرنسا أن تعلن من خلالها الحرب على الجزائر ، إذا كانت بالفعل حربها في سنة 1830م ما هي إلا دفعا عن شرفها وكرامتها ، " فمثلا نجد أن حادثة وقعت لقنصل فرنسي عام ، قائم بأعمال "نابليون الأول" في الجزائر بعد أن كان ممثل " لويس السادس عشر " تم ممثل الجمهورية الفرنسية " ديبو تانفيل " عندما أمر " الداوي الحاج علي" بإلقائه في سفينة أمريكية على وشك الإقلاع إلى فرنسا وكتبت وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ 19 أكتوبر 1811 م تقول : "إن باريس لا ترى أن مثل هذه المعاملة من الداوي تعتبر بمثابة إهانة للقنصل العام القائم بالأعمال فلا يستحق أن تتخذ كحجة لإعلان الحرب " ¹ .

ويرى " إسماعيل ياغي" " رغم صلات الود التي ربطت الجزائر بفرنسا والمساعدات التي قدمها لها إبان تآلب الدول الأوروبية عليها ، والإمتيازات التجارية التي منحتها لها في سواحلها ، فإن فرنسا قد عاملت الجزائر كما يعامل الضيف اللئيم مضيفه ، فكانت الجزائر أول ضحية للتوسع الفرنسي في المغرب العربي " ² .

¹ مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق، ص 211.

² إسماعيل أحمد ياغي ، المرجع السابق ، ص 254.

وبهذا كانت نهاية القوة التي لطالما هابتها كل الدول وكانت رغب دوما في إحداث السلم معها فكانت نهايتها على يد دولة إعتبرتها الجزائر في كثير من الحالات " الدولة الصديقة " .

الخاتمة

نستنتج من هذه الدراسة النتائج التالية :

أولاً: إنفصال الجزائر عن الخلافة العثمانية وبشكل شبه مستقل في القرن السابع عشر بحيث أصبحت تشرف على إدارة شؤونها دون الرجوع إلى الباب العالي ، كما نلاحظ تزايد العائدات البحرية من غنائم وأسرى مما أدى إلى زيادة مداخيل الإيالة ،وبهذا أصبحت الجزائر من أهم القوى البحرية في المتوسط ،خاصة في القرن 16م و 17م وإن تراجعت في القرن 18م وهذا راجع إلى وجود اضطرابات داخلية مثل الثورات وخارجية تمثلت في التحرشات الأوروبية كالحملة الإنجليزية سنة 1816م .

ثانياً: أما فيما يتعلق بفرنسا فإن أوضاعها كانت متوترة نوعاً ما إذا ما قورنت بأوضاع الجزائر حيث عاشت العديد من الحروب المعروفة بحروب لويس الرابع عشر ،أما من الناحية الاقتصادية فقد كان إقتصادها ضعيفاً في بداية الأمر إلا أنه شهد تغير فيما بعد بسبب قيام الثورة الصناعية.

ثالثاً: أما عن العلاقات التي ربطت الجزائر بفرنسا نجدها في البداية كانت طيبة وسلمية ،متنوعة بين علاقات سياسية وأخرى تجارية أرادت فرنسا من خلال هذه الأخيرة أن تحافظ بها عن مكانتها وامتيازاتها في المتوسط ،بحيث حضيت على غرار الدول الأوروبية بإمتيازات والتي عرفت بالتنازلات الفرنسية وقد تجسدت في المؤسسة الفرنسية بالشرق الجزائري والتي احتفظت بها رغم وجود منافسين لها مثل الإنجليز والهولنديين .

رابعاً: حضيت فرنسا بوجود قناصل في وقت مبكر بداية من 1578م،يقومون بتمثيلها وشكلوا الواجهة الأمامية للعلاقات بين البلدين وساهموا بطبعها بالسير الحسن أو بالتوتر ،كان لهم دور في الإستعلام والإستخبار مثل "القنصل دوفال"،وهدفت فرنسا من وراء ممثليها إلى تحقيق جملة من المصالح من بينها حماية تجارتها وتحرير أسراها إن قناصل فرنسا مع نهاية القرن الثامن عشر أصبحوا يتدخلون في الشؤون الداخلية للجزائر مما يبين لنا مستقبل العلاقات بين الطرفين و التي وصلت إلى مرحلة الخطر و انتهت إلى الإحتلال.

خامساً: كما نجد أن فرنسا عقدت مع الجزائر 57 معاهدة متنوعة بين سياسية وتجارية، غير أن الشركات الفرنسية كانت في غالب الأحيان لا تحترم ولا تعمل

بنصوص الإتفاقيات الموقعة ، لاسيما فيما تعلق بتحسين المراكز التجارية فكان هذا من بين الأسباب التي أدت إلى توتر العلاقات بين البلدين .

سادسا: كان لكل من التجارين "بكري وبوشناق" دورا بارزا في المعاملات التجارية ، بين الجزائر وفرنسا إذ عملا على تزويد فرنسا بالقمح خلال ثورتها في حين إستفادت هذه الأخير من الدفع المؤجل وحصول التجارين على أرباح طائلة جراء هذه المعاملات في حين قوبلت الجزائر بالتكر للجميل .

سابعا: قيام فرنسا بشن العديد من الحملات على الجزائر في البداية ، غير أنها لم تكمل بالنجاح إضافة إلى وجود مشاريع لاحتلال الجزائر .

ثامنا: وقوع حادثة المروحة والتي أُنقذ "دوفال" تمثيلها فاعتبرتها فرنسا إهانة لكرامتها وشرفها ، وحرصت على وضع شروط تعجيزية لا تبق على ماء وجه الجزائر وبالتالي الوصول إلى طريق مسدود ومن ثم إملاء فرنسا لشروطها كيفما كانت .

تاسعا: نجد أن الحصار الفرنسي البحري الذي تقرر فرضه على الجزائر قبل حادثة المروحة وبالتالي وجدت فرنسا الذريعة والمبرر للقيام بهذه التصرفات إزاء الجزائر من جهة ، ومن جهة أخرى تريد أن تحقق من وراء الحصار أهدافها وعند فشله لجأت إلى ترتيب حملة عسكرية على الجزائر ، فأظهر لنا الحصار مدى الضعف الذي آل إليه جهاز الحكم بها وأثبتت الحملة مدى ضعف الجزائر عسكريا و سياسيا ، هذا ما سهل على فرنسا إحتلال الجزائر العاصمة بعد حصار طويل .

وفي الأخير يمكن القول أن مسألة الديون وحادثة المروحة كانت بمثابة الثغرة التي إستغلتها فرنسا لحصار الجزائر ثم وقعت تحت وطأة الإحتلال ، ونجحت فرنسا في مشروعها و فقدت الجزائر سيادتها سنة 1830م .

لا شك أن هناك جوانب عدة في هذا الموضوع بحاجة إلى من يستكملها ، ويتعمق في طياتها ويخضعها للبحث والتحليل فموضوع العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال العصر الحديث يبقى حقا واسعا للباحثين والدارسين لهذا ينبغي عليهم تسليط الضوء عليه والإحاطة بجميع جوانبه ، لإزالة ما هو غامض ومعالجة ما هو غير مطروق .

الملاحق

ملحق رقم 01.

دايات الجزائر بين (1830/1671)¹

| اسم الداي | الفترة التي حكمها (من - إلى) | |
|----------------------------|------------------------------|-------|
| الحاج محمد باشا | 1671 | 1682م |
| بابا حسن باشا | 1682 | 1683م |
| الحاج حسين باشا ميزو مورتو | 1683 | 1688م |
| الحاج شعبان باشا | 1688 | 1695م |
| الحاج أحمد باشا | 1695 | 1698م |
| حسن باشا الشاوش | 1698 | 1700م |
| الحاج مصطفى باشا | 1700 | 1705م |
| حسين خوجة باشا | 1705 | 1707م |
| محمد قطاش باشا | 1707 | 1710م |
| علي باشا شاوش | 1710 | 1718م |
| محمد بن حسين باشا | 1718 | 1724م |
| كرد عبيدي باشا | 1724 | 1732م |
| إبراهيم باشا | 1732 | 1748م |
| إبراهيم شاكوك | 1748 | 1754م |
| محمد بكير باشا | 1754 | 1766م |
| علي باشا نفيس | 1766 | 1791م |
| محمد عثمان باشا | 1791 | 1798م |
| حسان باشا | 1798 | 1805م |
| مصطفى باشا | 1805 | 1808م |
| أحمد باشا | 1808 | 1809م |
| علي باشا الغسال | 1809 | 1815م |
| الحاج علي باشا | 1815 | 1815م |
| عمر باشا | 1815 | 1817م |
| علي خوجة | 1817 | 1818م |
| حسين باشا | 1818 | 1830م |

¹ أحمد توفيق المدني ، الجزائر، المرجع السابق، ص ص 60-81

حسين داي الجزائر إلى شارل العاشر

عبد الله الحسين داي الجزائر

يا مجد الأمراء النصارى وخيرة كبار أمة عيسى ، صديقنا الغالي والعزيز والفاضل والوفي ملك ملوك فرنسا .
بعد أن حملتنا الصداقة نتمنى أن تصل شجرة عظمتكم إلى ذروة المجد ، وأن تمتد نخلة صيتكم وعرشكم في
العلی وتبقى إلى الأبد وبعد أن سألنا عن صحتكم الغالية فإن صديقكم الوفي والصادق يتشرف بأن يعرض
عليكم ما يلي :

لقد حمل لنا القنصل دوفال خادمتكم الأمين الذي يقيم عندنا رسالتكم الودية التي بعثها لنا ديوان الإمبراطورية
فقرأناها وعرفنا من فحواها أن أحاكم المخلص والفاضل ملك ملوك فرنسا قد انتقل بإذن الله من دار الدنيا إلى
دار القرار بعدما أنهكت عاهات قديمة ولقد ملأنا نعيمكم هذا بالحزن والأسى وعلمنا في الوقت ذاته أنكم قدمتم
إلى عرش أجدادكم الفضلاء حسبما تحوله لكم حقوق الميراث ووفق ما تنص عليه القوانين الأساسية للحكم
وعلمنا أنكم جلستم على عرش الإمبراطورية وسط هتاف كبراء بلا طكم وبإجلال واحترام من رعاياكم
الذين أعربو لكم عن تعاطفهم معكم ومودتهم لكم أطال رب العالمين عمركم وأدام ملككم وزاد من قوتكم
ورفع جلالكم فوق كل الأمم النصرانية .

لقد كتبنا لكم رسالة التهئة هذه حتى نحدد ونوثق العهود بين بلاط فرنسا وإيالة الجزائر و لتتعهد كما كان
الحال في الماضي باحترام الشروط والبنود التي وضعتها الحكومتان ونتمنى أن نحظى بحسن إلتفاتتكم ولقد كتبنا
لكم هذه الرسالة حتى نعبر لكم مرة أخرى عن جميل التوافق بيننا وقد كتبنا لكم هذه الرسالة حتى نعبر لكم
مرة أخرى عن جميل التوافق بيننا وحتى نفى بواجب تناسق القلوب وعندما نبليكم هذه الرسالة بإجلالة
الإمبراطور ستدركون أننا نستغل كل وقتنا لننظر فيما يراه الدين في واجب المودة القديمة والمتأصلة بين
الحكومتين ونرجو أن تخصصنا جلالتم بذكر طيب .

كتبت بالجزائر يوم 8 نوفمبر 1824م

ترجمها كيفار kieffer كاتب ومترجم الملك يوم 2 فيفري 1825م¹

¹ أوجان بلا نتيت، مراسلات دايات الجزائر الى ملوك ووزراء فرنسا 1700 - 1833 م، تر ججيك إلياس، ج3، دار الوعي، الجزائر، ط1،
2014م، ص ص 281-283.

أهم الإتفاقيات و المعاهدات المبرمة بين الجزائر و فرنسا.

- إمتيازات افريقية فيفري 1670م.
- صلح وتجارة 11مارس 1679م.
- صلح وتجارة امتيازات الافريقية 28 أفريل 1684م.
- تجديد الامتيازات الافريقية 1686م.
- الامتيازات الافريقية 13 مارس 1689م.
- صلح المائة عام 24 سبتمبر 1689م.
- إمتيازات إفريقية 5ماي 1690م.
- تجديد الامتيازات و صلح وتجارة 27 ديسمبر 1690م.
- إمتيازات إفريقية 3جانفي 1694م
- تجديد الصلح والتجارة و امتيازات افريقية 4 مارس 1694م.
- تجديد الامتيازات الإفريقية 23 جويلية 1698م
- تجديد الإمتيازات الإفريقية 19 جويلية 1700م
- تجديد الإمتيازات الإفريقية و صلح وتجارة 1705م.
- تجديد الإمتيازات الإفريقية 8 مارس 1707م.
- تجديد الإمتيازات الإفريقية 30 مارس 1710م
- إمتيازات افريقية 14 أوت 1710م
- تجديد الصلح وتجارة 15 جويلية 1714م.
- تجديد إمتيازات افريقية 26 جانفي 1718م.
- تجديد الصلح وتجارة 6 أفريل 1718م .
- تجديد الإمتيازات 20 مارس 1724م
- تجديد إمتيازات افريقية 30 مارس 1724م.
- امتيازات إفريقية 6 جوان 1731¹

¹ يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية، المرجع السابق، ص 157.

- تجديد امتيازات افريقية 10 جوان 1732 م.
- تجديد امتيازات افريقية 6 ديسمبر 1732 م.

قائمة

البيبليو غرافيا

أولا المصادر:

- أبكاريوس يوحنا أفندي ، قطف الزهور في تاريخ الدهور، بيروت، ط2، 1889م .
- الأمير عبد القادر ، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، بالمطبعة التجارية عزوزي وجاويش، الإسكندرية، د ط ، 1903م.
- بن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح : محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م .
- بن عثمان خوجة حمدان، المرأة، تح : محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1982م.
- بن دحمان حفيظة ، رأي محمد بيرم الخامس في الإحتلال الفرنسي للجزائر من خلال كتابه صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ط خ، 2013م .
- بن العنثري محمد صالح ، فريدة منسية في حالة دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها، تح : يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م .
- بفايفر سيمون ، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، تر : أبو العديد دودو، دار الأمة، الجزائر، 2009م .
- المزارى بن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا أواخر القرن 19م، ج2، تح: يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2009م .
- العنثري صالح ، سنين القحط مجاعات قسنطينة، تح : رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1974م .
- الشقراني الراشدي محمد بن عبد الرحمان، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح : ناصر الدين سعيدوني ، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1991.
- الزباني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح : المهدي بوعبدلي، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2013م.
- الزهار أحمد الشريف مذكراته، تح : أحمد توفيق المدني، عالم المعرفة، الجزائر، د ط الجزائر، 2010م.

- الزبيري محمد العربي، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة و بوضربة ، منشورات السهل الجزائر ، د.ط، 2009م .
- التونسي خير الدين، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، مطبعة الدولة بحضارة تونس المحمية، ط1، 1986م .

المراجع :

- أبو عليا عبد الفتاح، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار المريخ، الرياض، ط3، 1993م .
- أشبودان العربي، مدينة الجزائر، تر: جناح مسعود، دار القصة للنشر، الجزائر، د ط، 2007م .
- ألترعيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، تر:محمود علي عامر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط1 ، 1989م.
- البطريق عبد الحميد ، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن 18، دار الفكر العربي، القاهرة، 1946م.
- التميمي عبد الجليل ، بحوث ووثائق في تاريخ المغرب، الدار التونسية للنشر، ط1، 1972م.
- الجمل عطا الله شوقي، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ليبيا .تونس . الجزائر .المغرب ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1977م.
- الجمل شوقي عطا الله ،تاريخ أوربا من النهضة إلى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، د ط، 2000م .
- الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام، ج3، دار الأمة، الجزائر، 2014م .
- الزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية، للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط .
- الزبيري محمد العربي ، مقاومته الجنوب للإحتلال الفرنسي، دار الحكمة، الجزائر، ط2، 2015م.
- العسلي بسام ، الجزائر والحالات الصليبية 1547-1791م ، دار النفائس، بيروت ، ط3، 1986م.
- العقاد صلاح، المغرب العربي الكبير، مكتبة أنجلو مصرية، القاهرة، د ط، 1969م.

- المحامي محمد فريديريك بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط1، 1981م.
- المدني أحمد توفيق ، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، عالم المعرفة، الجزائر، ط خ ، 2010 م .
- المدني أحمد توفيق، الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، ط خ ، 2010 م.
- المدني أحمد توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا ، 1492-1792م، دار البصائر ، الجزائر ، ط1 ، 2007م.
- المقرجي ميلاد، تاريخ أوربا الحديث 1453-1848 ،دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط1، 1996،
- الهلالي الملي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3 ،مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر ، د ط ، 1964 م .
- الهلالي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2008 م .
- بحري أحمد، الجزائر في عهد الدايات، ج1 ،دار الكفاية، الجزائر، 2013 م .
- برون جيفري ، تاريخ أوربا الحديث، تر: على المرزوقي، دار الأهلية، بيروت، ط1، 2006،
- بلانتيت أوجان، مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا 1700-1833م تر: جيجيك إلياس، ج3، دار الوعي، الجزائر، ط1، 2014م.
- بلحميسي مولاي ، الجزائر من خلال حالات المغاربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط2، 1981م .
- بن دامة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض 1830-1962م، ج1 ،وزارة المجاهدين، الجزائر، ط.خ ، 2008م.
- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م.
- بوعزيز يحيى ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500-1830م ،عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.

- بوعزيزيحيى، السياسة الاستعمارية من خلال حزب الشعب الجزائري 1830-1954م، دار البصائر، الجزائر، د.ط، 2009م.
- بوعزيزيحيى، الموجز في تاريخ الجزائر، ج 2 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، ط2، 2009م .
- بياربيان، سطو على مدينة الجزائر، تحقيق في عملية نهب جويلية 1830م ،منشورات الشهاب، الجزائر، د.ط، 2013م .
- تابليت علي، الرئيس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770-1815م ،منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر ، د ط ، 2006م .
- جوليان شارل أندري ، الجزائر المعاصرة الغزو وبدايات الاستعمار 1827-1830م ،ج1 ،دار الأمة، الجزائر، د.ط، 2008م .
- حلومي عبد القادر علي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، ط1، 1972م.
- حمداني عمار، حقيقة غزو الجزائر، تر: لحسن زغدار، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، ط خ ، 2007م.
- خير فارس محمد، تاريخ الجزائر الحديث، مكتبة دار الشرق، بيروت، ط2، 1979م.
- دودو أبو العيد الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855م)، ج 1 ،دار الأمة، الجزائر، 2009م .
- راشد عصمت زينب ، تاريخ أوروبا الحديث من القرن 16 إلى القرن 18، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م.
- رزيق محمد ، العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال معاهدة التافنة 1837م، دار طليطلة، ط1، الجزائر، 2013م .
- زروال محمد، العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830م، مطبعة دحلب، الجزائر، د ط، 1993م .
- ساحلي محمد الشريف ، تخليص التاريخ من الاستعمار، تر : محمد هناد ،منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر، د.ط، 2002م .
- سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تع: عبد القادر زبايدية، دار القصبة، الجزائر، د ط، 2006م.

- سعد الله أبو القاسم الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900م، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2005م .
- سعد الله أبو القاسم ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1982م.
- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، د.ط، 2007م .
- سعدي عثمان ، الجزائر في التاريخ، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2013م.
- سعيدوني ناصر الدين ، الجزائر في التاريخ في العهد العثماني، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1984م .
- سعيدوني ناصر الدين ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر الجديدة، الجزائر، ط2، 2013م.
- سعيدوني ناصر الدين ، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830م ،دار البصائر الجديدة، الجزائر، ط2، د.ت.
- سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)، دار البصائر الجديدة ، الجزائر، ط2، 2012م.
- سليمان أحمد ،النظام الجزائري في العهد العثماني، مطبعة دحلب، الجزائر، د.ط، 1993م .
- شارل وليام ، قنصل أمريكا في الجزائر (1814-1824)، تع: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط ، 1982م.
- شمس الدين نجم زين العابدين ، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2012م.
- شويتام أرزقي، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط2، 2006م .
- شويتام أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830، دار الكتاب العربي، الجزائر، د.ط ، 2010م.
- عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي (1514.1830)، دار هومة، الجزائر، ط2، 2007م .

- عفرون محرز ، مذكرات من وراء القبور، ج1، دار هومة، الجزائر، ط خ، 2008م.
- عكيلي صلاح حسين، فرنسا بين الثورتين 1798-1830م، مؤسسة الوراق، عمان، ط1، 2005م.
- غربي الغالي، العدوان الفرنسي على الجزائر (الخلفيات والأبعاد)، منشورات المركز للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، ط.خ، 2007م.
- فيلاي عبد العزيز، جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة 1830-1850م، دار الهدى، الجزائر، ط خ، 2012م .
- قداش محفوظ ، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830-1954م، تر: محمد المعراجي، طبع المؤسسة الوطنية، د.ط، الجزائر، 2008م .
- قنان جمال، دراسات في المقاومة والاستعمار، ج4، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، ط خ، 2009م.
- قنان جمال، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830م ، المؤسسة الوطنية للنشر و الإشراف ، الجزائر ، ط خ ، 2005م.
- قنان جمال، نصوص سياسية جزائرية في القرن 19 1830-1914م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، د ط ، 2009م.
- قنان جمال ،معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م، دار هومة، الجزائر، ط.خ، 2010م .
- قنان جمال، نصوص ووثائق في التاريخ الجزائر الحديث 1500-1830م ،دار هومة ،الجزائر، ط.خ، 2010م.
- كاشة القرحي بشير، مختصر وقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر (1962-1830)، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2007م.
- مروش منور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، ج2، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2009م .
- مسعودي أحمد، الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها 1792-1830، دار الخيل العلمية، الجزائر، د ط، 2013م.

- نايت بلقاسم مولود قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 ج2، دار الأمة، الجزائر، ط2، 2007م .
- هريدي علي صلاح أحمد ،تاريخ العلاقات الدولية والحضارة الحديثة، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2003م.
- وولف جون ب ، الجزائر وأوربا 1500-1830م ، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، د.ط، 2009م .
- يحي جلال، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى، ج2، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د ط ، 1981م.
- يحيى جلال ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د.ط، 1999م.

المجلات :

- الشهداني مؤيد محمود، أوضاع الجزائر خلال الحكم التركي 1518-1830م ،مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 5 ،العدد 2013، 16م.
- العايش بكار، الوضعية العامة للجزائر قبل الاحتلال، مجلة حوليات مخبر التاريخ والجغرافيا، العدد 2 ،الجزائر، المدرسة العليا للأساتذة بوزيعة الجزائر، 2008م.
- بن أشبودان صلاح الدين، الدور الذي لعبته الجزائر خلال القرن 16 ،مجلة الأصالة، العدد 8، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ،الجزائر، 2012م.
- سهيل جمال الدين، ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن 17 ،مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 13، قسم التاريخ المركز الجامعي غرداية، الجزائر، 2001م .
- سيدهم فاطمة الزهراء، موارد إيالة الجزائر المالية في مطلع القرن 19 ،دورية كان التاريخية، العدد 2011، 13م.

الرسائل الجامعية :

- بن سعيدان محمد، علاقات الجزائر مع فرنسا (1659-1756م) ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2011-2012م.
- بن صحراوي كمال، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، 2007-2008م.

- بن صفا فرحات، العلاقات القنصلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الحقوق، جامعة قسنطينة، 2013-2014م.
- حماش خليفة إبراهيم، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي 1798-1830م، رسالة لنيل شهادة الماجستير التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، 1988م.
- دهان بركاهم، دور القناصل الفرنسيين وتأثيرهم على العلاقات الجزائرية الفرنسية 1689-1789م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تاريخ حديث، جامعة غرداية، 2012-2013م.
- عطلي محمد أمين، نشاط البحرية في القرن السابع عشر وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، المركز الجامعي، غرداية، 2011-2012م.
- غطاس عائشة، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن 17 1619-1694م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث، جامعة الجزائر، 1984-1985م.
- فلوح عبد القادر، العلاقات الجزائرية العثمانية من الفترة 1818-1830م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2009-2010م .
- قرباش بلقاسم، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد 1671-1830م، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة معسكر، 2015-2016م.
- محمة عائشة، الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين 16 و 17 ،رسالة لنيل شهادة الماجستير تاريخ حديث، المركز الجامعي غرداية، 2011-2012م.
- نواصر عبد الرحمان، مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكاساتها على علاقات البلدين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2010-2011م.

الموسوعات :

- البزدي الحسيني محمد بن بريكة ، موسوعة الطرق الصوفية الطريقة التجارية ، حواجز المعاني في فيض سيدي أبي عباس التجاني للشيخ على بورادة حازم الفاسي، ج1، دار الحكمة، الجزائر، 2007م .

فهرس المحتويات

| الموضوع | الصفحة |
|--|-------------|
| المقدمة | 8-1 |
| الفصل التمهيدي: الوضع العام في الجزائر و فرنسا 1671-1830م | 26-9 |
| المبحث الأول: الواقع السياسي و الإقتصادي في الجزائر | 19-10 |
| المطلب الأول: سياسيا | 13-10 |
| المطلب الثاني: إقتصادي | 19-13 |
| المبحث الثاني : الواقع السياسي و الإقتصادي في فرنسا | 26-19 |
| المطلب الأول :سياسيا | 24-19 |
| المطلب الثاني :إقتصادي | 26-24 |
| الفصل الأول: طبيعة العلاقات بين البلدين | 62-28 |
| المبحث الأول : بداية العلاقات بين الجزائر و فرنسا 1671-1830م | 39-28 |
| المبحث الثاني: دور القناصل و أهم المعاهدات و الإتفاقيات | 62-40 |
| الفصل الثاني : توتر العلاقات وأهم الحملات الفرنسية على الجزائر | 93-64 |
| المبحث الأول: المشاكل التجارية و دورها في توتر العلاقات (بكري، بوشناق) | 75-64 |
| المبحث الثاني : أهم الحملات الفرنسية على الجزائر | 93-76 |
| الخاتمة | 96-95 |
| الملاحق | 99-97 |
| قائمة الببليوغرافيا | -100 109 |
| فهرس المحتويات | 110 |